فقل إنما الغيب لله

التوحيد

العدد ٦٤٣ السنة الرابعة والخمسون - رجب ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٤٣ السنة الرابعة والخمسون - رجب ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

المهدي والصراع العسكري

تحذير هام !!
في بيتك صالة قمار

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

افتتاحية العدد — الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد — ٢
باب التفسير — د. عبد العظيم بدوي — ٥
مسائل علم التوحيد — د. عبد الله شاكر — ٨
تحذير هام!! في بيتك صالة قمار — د. أيمن خليل — ١١
الاستغناء بالله تعالى — د. جمال المراكبي — ١٧
ثمرات الإخلاص لله تعالى — عبد العزيز مصطفى الشامي — ٢١
صفات عباد الرحمن — الشيخ صلاح نجيب الدق — ٢٤
واحة التوحيد — د. علاء خضر — ٢٨
خشوع المؤمنين وخشوع الكافرين — د. محمد حامد — ٣٠
نظرات في كتاب السيد البدوي — د. محمد عبد العزيز — ٣٤
تحذير الداعية من القصص الواهية — الشيخ علي حشيش — ٣٩
الألفاظ الموهمة في باب الصفات — د. محمد عبد العليم الدسوقي — ٤٣
غزوة أحد — د. سيد عبد العال — ٤٧
مبتدعات شهر رجب — الشيخ إبراهيم حافظ رزق — ٤٩
الفرج بعد الشدة — الشيخ صلاح عبد الخالق — ٥٢
صفات الزوجة الصالحة — الشيخ عبده أحمد الأقرع — ٥٥
المهدي والصراع العسكري — د. أحمد بن سليمان أيوب — ٥٨
عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة
لواء مهندس محمود المراكبي، رحمه الله — ٦٢

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهما ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات. أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.
للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولارًا أو ٤٠٠ ريال سعودي بالجنيه المصري.

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

السلام عليكم

عودة الكتاتيب والبناء الحقيقيِ للإنسان

من المُبشرات -بفضل الله تعالى- إطلاق وزارة الأوقاف المصرية لمبادرة: «عودة الكتاتيب»، وذلك ضمن المبادرة الرئاسية: «بداية جديدة لبناء الإنسان»، وعودة الكتاتيب يعني حماية النشء من الانحراف بكل صوره، وتعليمهم كتاب الله تعالى؛ لتستقيم ألسنتهم، وتنضج عقولهم بحفظ كتاب الله تعالى؛ ليلحقوا بركْب الأجيال السابقة من القُرَّاء في مصرنا، حفظها الله.

والمركز العام لجمعية أنصار السنة بمصر إذ يُثمّن هذه المبادرة؛ فإنه يدعو فروعه إلى التنافس للنهوض بالكتاتيب؛ لتكون في مقدمة الركب، ولهم في ذلك مزيد من دعم المركز العام.

والله ولي التوفيق.

رئيس مجلس الإدارة
فضيلة الشيخ/أحمد يوسف عبد المجيد

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

فقل إنما الغيب لله

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد

الرئيس العام

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، والصلاة والسلام على خير من اصطفاه الله من عباده.

وبعد: فإن من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولا يتحقق ذلك إلا بتعليم العقيدة الصحيحة. وكلمة العقيدة في اللغة مأخوذة من العقد وهو الربط بقوة وإحكام، وفي الشرع العقيدة تعني الإيمان الذي لا يتطرق إليه الشك. ومن تمام سلامة العقيدة وثوابتها أن يكون المسلم على يقين كامل بأن علم الغيب لله وحده ولا أحد يعلم الغيب إلا الله: «قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» (النمل: ٦٥).

قال ابن كثير رحمه الله: "يقول الله آمرًا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول مُعلِّمًا لجميع الخلق أنه لا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب إلا الله، وما يشعر الخلائق الساكنون السماوات والأرض بوقت الساعة".

وقد تضافرت آيات الكتاب العزيز لترسيخ عقيدة المسلم أن علم الغيب لله وحده وقد استأثر به سبحانه ومنعه سواه من خلقه قال تعالى: «وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (هود: ١٢٣).

وقد فصَّل القرآن القضايا التي كثر الكلام فيها؛ فقال

سبحانه: « إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ » (لقمان: ٣٤).

وقد جاءت السُّنة مُؤكَدة ومفصَلة لذلك؛ كما في الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله".

الرسـل هم أفضـل البشر ومع ذلك هم لا يعلمون الغيب إلا ما علمهم الله.

والله تعالى يقول: «وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ » (آل عمران: ١٧٩)، وقد أكَّد القرآن على أن كل الخلق لا يعلمون الغيب، ثم فصَّل لما قد يظن الناس فيهم لقربهم من الله تعالى أنهم يعلمون الغيب وهم الملائكة لما عرض سبحانه الأسماء عليهم: « قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ » (البقرة: ٣٢).

والجن الذي يعتقد كثير من الناس فيهم ويظنون أنهم يعلمون ويتصرفون لا يعلمون الغيب، وليس أدل على ذلك من قولهم: «وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا » (الجن: ١٠)، بل لقد لبثت الجن في العذاب المهين، وهذا نبي الله سليمان عليه السلام الذي سخَر الله له الشياطين كل بنَاء وغوَاص وآخرين مقرنين في الأصفاد، قال تعالى: « وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ » (سبأ: ١٢).

قال ابن كثير في تفسيرها: "وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله أي بقدره، وتسخيره لهم بمشيئة ما يشاء من البنايات وغير ذلك والشاهد أن سليمان عليه السلام كان يباشر عمل الجن ومعه منسأته (عصاه) وهم يجتهدون في العمل؛ لأنهم يرونه حتى أدركه الموت وهو متكئ على عصاه لا يدري من أمرهم شيئًا، ولأنهم لا يعلمون الغيب ظلوا يعملون ظنًّا منهم أنه حي يراقبهم، ولو كانوا يعلمون الغيب لتوقفوا عن العمل الشاق بمجرد موته"؛ قال تعالى: « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ » (سبأ: ١٤).

ومما درج عليه كثير من الناس اعتقادهم أن الصالحين والأولياء يعلمون الغيب، وقد جانبهم الصواب في ذلك، فإن الرسل هم أفضل البشر ومع ذلك هم لا يعلمون الغيب إلا ما علَّمهم الله؛ قال تعالى: «يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ » (المائدة: ١٠٩).

وسيد الأولين والآخرين لا يعلم من الغيب شيء إلا ما علَّمه الله؛ قال الله تعالى: « قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ » (الأنعام: ٥٠).

قال القرطبي رحمه الله عند تفسيرها: يحتمل معنيين؛ أظهرهما أنه يريد أنه بشر لا شيء عنده من خزائن الله ولا من قدرته، ولا يعلم شيئًا مما غيب عنه.

وقد يُطلع الله بعض مَن رضي عنهم من الرسل على بعض أمور من الغيب؛ كما قال سبحانه: «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ» (البقرة: ٢٥٥)، وقوله تعالى: «عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا» (الجن: ٢٦- ٢٧).

قال القرطبي: فيه إظهار بعض الغيب لرسله؛ لأن الرسل يُؤيَّدون بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزةً لهم ودلالة صادقة على نبوتهم"، والكلام في ذلك يطول، ويكفي أن نسوق قوله تعالى في شأن عيسى عليه السلام: «وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (آل عمران: ٤٩).

وبذلك يوقن المسلم بكذب ودجل كل مَن ادَّعى شيئًا من علم الغيب من الكهان والمنجمين وغيرهم ممن انتشر أمرهم وتنوعت صورهم، فقد كان المنجمون قديمًا يستخدمون النجوم في خداع الناس، واليوم صارت لهم قنوات يعملون من خلالها تحت أسماء شتى كالخبير بالأبراج، والعالم الروحاني، وقارئ الكف، وقارئ الفنجان، وضارب الودع.

ومع نهاية كل عام ميلادي يخرج من الجحور مَن يُوهِم الناس أنه سيحدث في العام الجديد موت فلان، وانتصار الفريق الفلاني، وللأسف تفسح له وسائل الإعلام منابر لنَشر أباطيله وكذبه، وكم قالوا عن قيام الساعة في أعوام مضت منذ زمن ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا خلاف بين أهل العلم في تحريم كل هذه الأباطيل بل ومجرد سماعها أو الاطلاع عليها؛ فإياك أيها المسلم أن تنظر في برج من الأبراج حتى لو كان على سبيل الاطلاع دون تصديق؛ فقد ورد في صحيح مسلم من حديث عن صفية عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة».

ويزداد الأمر خطورة عندما يأتي الناس الكهان والمنجمين ويصدقونهم، وهذا قد يُخرجهم عن دائرة الإيمان الصادق؛ فقد ورد في حديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد».

ولذلك حرص الصحابة ومن بعدهم من التابعين على ترك كل صور الشرك، ومنها ادعاء علم الغيب؛ فقد نقل القرطبي رحمه الله عن الخليفة الراشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد الخروج لقتال الخوارج قال له مسافر ابن عوف: يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة، فقال له عليّ رضي الله عنه: ولِمَ؟ قال: إن سرتَ في هذه الساعة أصابك وأصحابك بلاء، فقال له علي رضي الله عنه: ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم، ولا لنا من بعده، فمن صدَّقك في هذا القول لم آمَن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندًا أو ضدًا؛ اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ثم قال: نخرج في الساعة التي تنهانا عنها، ثم قال للناس: إياكم وتعلُّم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، وانما المنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار.

ونحن نقول للمسلمين: إياكم وقراءة الفنجان أو الكف، أو حظك اليوم، أو إتيان العرافين والدجالين وضراب الودع، ولنحسن التوكل على الله، ونفوض إليه الأمر: «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا» (الطلاق: ٣).

نسألك اللهم الإخلاص في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: «ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾» **(الأحزاب: ٦-٨).**

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نسخ التوارث بأخوة الدين:

وَقَوْلُهُ تَعالى: «وَأُولو الأَرحام بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْض في كتاب الله» أيْ: في حُكم الله، «مِنَ المؤمنين والمُهاجرين» أيْ: القَراباتُ أَولى بالتَّوارث من المُهاجرينَ والأنصار. وهذه ناسخةٌ لما كانَ قَبلها من التَّوارُث بالحلف والمُؤاخاة التي كانتْ بيْنَهُمْ، كما قالَ ابنُ عبَّاس وغيْرُهُ-رضي الله عنهم-: كانَ المُهاجريُّ يرثُ الأنْصاريَّ دُونَ قَراباته وذوي رَحمه، للأُخُوَّة التي آخى بيْنَهُما رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم. «إلَّا أنْ تَفْعَلوا إلى أوْليائكم مَعْرُوفًا» أيْ: ذَهَبَ الميراثُ وبَقيَ النَّصْرُ والبِرُّ، والصِّلةُ والإحْسانُ والوَصيَّة. «كانَ ذلكَ في الكتاب مَسْطورًا» أيْ: هَذا الحُكْمُ وَهُوَ أنَّ أُولي الأرْحام بَعْضُهُمْ أوْلى ببَعْض، حُكْمٌ منَ الله مُقدَّرٌ مكْتوبٌ في الكتاب الأوَّل، الذي لا يُبدَّلُ ولا يُغيَّرُ. وإنْ كانَ تعالى قدْ شرَعَ خلافَه في وقت لما لهُ في ذلك من الحكمة البالغة، وهُوَ يَعْلَمُ أنَّهُ سيَنْسَخُهُ إلى ما هو جارٍ في قدره الأزلي، وقَضَائه القَدَريِّ الشَّرْعيِّ (تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٦٨و٤٦٩).

أولو العزم من الرسل:

ولمَّا كانَ ما سَبقَ من الآيات مُتضمِّنًا أحْكامًا شرَعَها الله تَعالى، وكانَ فيها أشْياءُ ممَّا كانَ في الجاهليَّة، وأشْياءُ ممَّا كانَ في الإسْلام أُبْطلَتْ ونُسخَتْ، أتْبَعَهُ سُبْحانَهُ بما فيه حثٌّ على التَّبْليغ، فقال عز وجل: «وإذْ أخَذْنا منَ النَّبيِّينَ ميثاقَهُمْ» أيْ: واذْكُرْ وقْتَ أخْذنا منَ النَّبيِّينَ كافَّةً عُهودَهُمْ بتَبْليغ الرِّسالة والشَّرائع والدُّعاء إلى الدِّين الحق، «ومنكَ ومن نُوح وإبْراهيمَ ومُوسى وعيسى ابْن مَرْيَمَ»، وإنَّما خصَّ هؤُلاء بالذكر مَعَ انْدراجهمْ في النَّبيِّينَ انْدراجًا بيِّنًا للإيذان بمَزيد مَزيَّتهمْ وفَضْلهمْ، وكَوْنهمْ منْ مَشاهير أرْباب الشَّرائع. واشْتَهرَ أنَّهُمْ هُمْ أُولو العَزْم منَ الرُّسُل، صلَواتُ الله تَعالى وسَلامُهُ عليْهمْ أجْمعينَ، وإنَّما قَدَّمَ نبيَّنا صلى الله عليه وسلم مع

أنه أخرهم بعثة للإيذان بمزيد خطره الجليل صلى الله عليه وسلم. «وأخذنا منهم ميثاقا غليظا» أي عهدًا عظيم الشأن، أو وثيقًا قويًا.

«ليسأل الصادقين عن صدقهم» أي إنما فعل الله ذلك ليسأل الصادقين عن صدقهم، والمراد بالصادقين النبيون الذين أخذ ميثاقهم، ووضع موضع ضميرهم للإيذان من أول الأمر بأنهم صادقون فيما سئلوا عنه، وإنما السؤال لحكمة تقتضيه، أي ليسأل الله تعالى يوم القيامة النبيين الذين صدقوا عهودهم عن كلامهم الصادق الذي قالوه لأقوامهم، أو عن تصديق أقوامهم إياهم، تبكيتا لهم، كما في قوله تعالى: «يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ» (المائدة ١٠٩).

وقوله تعالى: «وأعد للكافرين عذابًا أليمًا» عطف معنوي، كأنه قيل: أكد الله تعالى على النبيين الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين، وأعد للكافرين عذابًا أليمًا (إرشاد العقل السليم: ٢١١/٥، ٢١٢، وروح المعاني: ١٥٤/٢١و١٥٥).

غزوة الأحزاب كما روتها كتب السيرة

كانت بدر أولى غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، جمع الله فيها بين المؤمنين أتباع الحق، وبين الكافرين أتباع الباطل على غير ميعاد، «لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ» (الأنفال: ٨)، وقد صدق الله وعده، ونصر المؤمنين أتباع الحق على قلة عددهم وضعف عُددهم، وهزم الكافرين أتباع الباطل على كثرة عددهم وقوة عُددهم، وفي ذلك يقول الله تعالى للمؤمنين: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (آل عمران: ١٢٣).

وكان بالمدينة طوائف من اليهود: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وكانوا قد صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوه على الأمان والعمل معًا على سلامة المدينة واستقرار الأمن فيها، فلما نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم في بدر ساء بني قينقاع وبني النضير هذا النصر، فهموا بما لم ينالوا، هموا بحرب المسلمين لينسوهم فرحة بدر، فجعل الله كيدهم في نحورهم، ومكن رسوله منهم، فأجلاهم عن المدينة، فخرجوا منها إلى خيبر.

فلما كان يوم أحد، وأصاب المسلمين ما أصابهم فرحت يهود بهذا المصاب، وطمعوا في استئصال المسلمين، فخرج نفر منهم إلى مكة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وواعدوهم النصر، فأجابتهم قريش إلى ما سألوا، ثم أتوا قبائل العرب قبيلة قبيلة، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أن قريشا أجابوهم إلى ما سألوا، فنشطوا لذلك، فكانت غزوة الأحزاب في شوال سنة خمس من الهجرة.

سبب الغزوة:

يقول محمد بن إسحاق -رحمه الله-:

كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس، وكان سببها أن نفرا من اليهود، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق، فأنزل الله تعالى فيهم: «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ٥١» الآيات إلى قوله تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا» (النساء: ٥٤). فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له.

ثُمَّ خرجَ أولئكَ النَّفرُ منْ يهودَ حتَّى جاءوا غطفانَ، فدعوهُمْ إلى حربِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وأخبروهُمْ أنَّهُمْ سيكونونَ معهُمْ عليهِ، وأنَّ قريشًا قدْ تابعوهُمْ على ذلكَ فاجتمعوا معهُمْ فيهِ. وقائدُهُمْ أبو سفيانَ في أربعةِ آلافِ مقاتلٍ، ووافتهُمْ بنو سليمٍ بمرِّ الظَّهرانِ، وخرجتْ بنو أسدٍ، وفزارةُ، وأشجعُ، وبنو مرَّةَ، وجاءتْ غطفانُ وقائدُهُمْ عيينةُ بنُ حصنٍ. وكانَ منْ وافى الخندقَ منَ الكفَّارِ عشرةَ آلافٍ.

حفرُ الخندقِ:

فلمَّا سمعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بمسيرِهِمْ إليهِ استشارَ الصَّحابةَ، فأشارَ عليهِ سلمانُ الفارسيُّ بحفرِ خندقٍ يحولُ بينَ العدوِّ وبينَ المدينةِ، فأمرَ بهِ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فبادرَ إليهِ المسلمونَ، فقسمَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم العملَ بينَ أصحابِهِ، فوكلَ إلى كلِّ عشرةٍ أنْ يحفروا منَ الخندقِ أربعينَ ذراعًا، وقامَ المسلمونَ بجدٍّ ونشاطٍ يحفرونَ الخندقَ، ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بينَهُمْ، يحفرُ وينقلُ التُّرابَ مواساةً لأصحابِهِ، وتنشيطًا لهُمْ:

عنْ البراءِ بنِ عازبٍ-رضيَ اللهُ عنهُ- قالَ: لمَّا كانَ يومُ الأحزابِ وخندقَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، رأيتُهُ ينقلُ منْ ترابِ الخندقِ حتَّى وارى عنِّي الغبارُ جلدةَ بطنِهِ وكانَ كثيرَ الشَّعرِ، فسمعتُهُ يرتجزُ بكلماتِ ابنِ رواحةَ-رضيَ اللهُ عنهُ- وهوَ ينقلُ منَ التُّرابِ يقولُ:

اللهُمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا
ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلنْ سكينةً علينا
وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقينا
إنَّ الأُلى قدْ بغوا علينا
وإنْ أرادوا فتنةً أبينا

قالَ: ثُمَّ يمدُّ صوتَهُ بآخرِها)) (صحيح البخاري ٤١٠٦).

وعنْ أنسٍ-رضيَ اللهُ عنهُ- قالَ: خرجَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى الخندقِ، فإذا المهاجرونَ والأنصارُ يحفرونَ في غداةٍ باردةٍ، فلمْ يكنْ لهُمْ عبيدٌ يعملونَ ذلكَ لهُمْ، فلمَّا رأى ما بهِمْ منَ النَّصبِ والجوعِ قالَ:

اللهُمَّ إنَّ العيشَ عيشُ الآخرةْ
فاغفرْ للأنصارِ والمهاجرةْ

فقالوا مجيبينَ لهُ:

نحنُ الَّذينَ بايعوا محمَّدا
على الجهادِ ما بقينا أبدا

(صحيح البخاري ٢٨٣٤).

ومازالَ الصَّحابةُ يعملونَ في الخندقِ بجدٍّ ونشاطٍ معَ ما بهِمْ منْ شدَّةِ الجوعِ حتَّى فرغوا منْ حفرِهِ قبلَ وصولِ الأحزابِ.

معجزاتٌ ظهرتْ أثناءَ الحفرِ:

١- المستقبلُ للإسلامِ:

وقدْ ظهرتْ أثناءَ الحفرِ معجزاتٌ كثيرةٌ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثبَّتتِ الصَّحابةَ على الإيمانِ، وبشَّرتْهُمْ بأنَّ المستقبلَ للإسلامِ.

عنِ البراءِ بنِ عازبٍ-رضيَ اللهُ عنهُ- قالَ: أمرنا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بحفرِ الخندقِ، وعرضَ لنا صخرةٌ في مكانٍ منَ الخندقِ لا تأخذُ فيها المعاولُ، قالَ: فشكوناها إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فجاءَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ووضعَ ثوبَهُ، ثُمَّ هبطَ إلى الصَّخرةِ، فأخذَ المعولَ، فقالَ: بسمِ اللهِ، فضربَ ضربةً فكسرَ ثلثَ الحجرِ، وقالَ: اللهُ أكبرُ! أُعطيتُ مفاتيحَ الشَّامِ، واللهِ إنِّي لأبصرُ قصورَها الحمرَ منْ مكاني هذا، ثُمَّ قالَ: بسمِ اللهِ، وضربَ أخرى فكسرَ ثلثَ الحجرِ، فقالَ: اللهُ أكبرُ، أُعطيتُ مفاتيحَ فارسَ، واللهِ إنِّي لأبصرُ المدائنَ، وأبصرُ قصرَها الأبيضَ منْ مكاني هذا، ثُمَّ قالَ: بسمِ اللهِ، وضربَ ضربةً أخرى فقلعَ بقيَّةَ الحجرِ، فقالَ: اللهُ أكبرُ! أُعطيتُ مفاتيحَ اليمنِ، واللهِ إنِّي لأبصرُ أبوابَ صنعاءَ منْ مكاني هذا) (رواه أحمد وحسنه الألباني في فقه السيرة:٢٥٨).

وللحديثِ بقيَّةٌ إنْ شاءَ اللهُ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

مسائل علم التوحيد

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد: فقد تكلمنا عن مصادر العقيدة، وبيَّنا أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للعقيدة، كما ذكرنا أساليب القرآن الكريم وعنايته بالعقيدة، وبقي أن نتكلم عن السنة النبوية كمصدر ثانٍ من مصادر العقيدة الإسلامية؛ فنقول وبالله تعالى التوفيق:

السُّنة وحي من الله:

(أ) دلالة القرآن الكريم على أن السنة من الوحي:

دلَّ القرآن الكريم على أن السنة النبوية وحي من عند الله -تبارك وتعالى- وذلك من وجوه متعددة، منها ما يلي:

الأول: قوله تعالى: « وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ » (النجم: ٣، ٤)؛ فهذا عامٌ في جميع ما ينطق به النبي صلى الله عليه وسلم، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «اكتبْ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقّ -وأوْمأ بأصبعه إلى فيه-»، وذلك لما قالت قريش لعبد الله: «أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلّم في الغضب والرضا؟! فأمسك عن الكتاب، حتى ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر الحديث. رواه أحمد(٦٨٠٢)

الثاني: قوله تعالى: «وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ » (البقرة: ٢٣١)، وقوله تعالى: « وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ » (الأحزاب: ٣٤).

قال الشافعي رحمه الله: "فسمعت مَن أرضى من أهل العلم بالقرآن، يقول: الحكمة سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يُشبه ما قال-والله أعلم-؛ لأن القرآن ذُكر وأتبعته الحكمة، والله سبحانه يذكر في هذه الآيات السابقة منّته على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز-والله أعلم- أن يقال: الحكمة ها هنا إلا سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم".

(ب) دلالة السنة النبوية على أن السنة من الوحي:

دلت السنة النبوية أيضًا على أن ما نطق به النبي

صلى الله عليه وسلم، وهو ما يُعرف بالسنة وحيٌ من الله -تبارك وتعالى-، وذلك أيضًا من وجوه متعددة:

الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»(أحمد(١٧١٧٤)).صححه محققوه قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: قوله: «أوتيت الكتاب ومثله معه»، يحتمل وجهين من التأويل:

أحدهما: أن يكون معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثلما أُعطي من الظاهر المتلو، ويحتمل أن يكون معناه: أنه أوتي الكتاب وحيًا يُتلى، وأوتي من البيان، أي: أذن له أن يُبيّن ما في الكتاب، ويعمّ ويخصّ، وأن يزيد عليه، فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم ووجوب العمل به، كالظاهر المتلو من القرآن.

الوجه الثاني:

قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الرّوح الأمين قد ألقى في روْعي». وفي رواية: «قد نفث في روعي» وفي أخرى: «إن روح القدس نفث في روعي» (صحيح الجامع(٢٠٨٥)) قال الشافعي (رحمه الله): فكان مما ألقى في روعه سُنته، وهي الحكمة التي ذكر الله تبارك وتعالى.

(جـ) دلالة الإجماع وأقوال العلماء على أن السنة من الوحي:

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: وقد اتفق من يعتدّ به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلّة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال، وتحريم الحرام، ثم استدلّ -رحمه الله تعالى- على ذلك بحديث «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه». ثم قال: «أي أوتيت القرآن، وأتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن».

د. دلالة النظر الصحيح على أن السنة من الوحي:

قام الدليل النقلي والعقلي على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الرسالة، وهذا لا يستقيم إلا إذا كان ما يقوله من السنة فضلاً عن القرآن وحيًا من عند الله تعالى؛ لأن الدليل على العصمة قام من جهة كونه صلى الله عليه وسلم مُبلّغًا عن الله تعالى لا من جهة أخرى. كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» (المائدة: ٦٧).

وهذا في الحقيقة كلام صحيح يدل عليه النظر الصحيح؛ لأنه صلى الله عليه وسلم طالما أنه نبي ويوحى إليه، وقد ثبتت عصمته صلى الله عليه وسلم عن الخطأ في الرسالة، ولا يمكن أن يستقيم هذا -كما ذكر- إلا أن يكون كل ما يقوله صلى الله عليه وسلم وحيًا أوحاه الله-تبارك وتعالى- إليه.

حفظ الله لسنة النبي صلى الله عليه وسلم:

لهذا الحفظ من الوسائل الشيء الكثير، وهي كما يلي:

(أ) أثر النبي صلى الله عليه وسلم في حفظ السنة:

ولذلك أمثلة: منها: طريقته صلى الله عليه وسلم في التحدُث إلى أصحابه، إذ كان يعيد ما قاله ثلاثًا صلى الله عليه وسلم حتى يُفهم كلامه، ويتضح مراده. وروى البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا؛ حتى يُفهم عنه». وكان صلى الله عليه وسلم يتحدث في تُؤدة ووضوح، قالت عائشة (رضي الله عنها): «إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدث الحديث لو شاء العادّ أن يحصيه، أحصاه». وفي رواية: «لم يكن يسرد الحديث كسردكم».

ومنها: ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حفظ السُنة، وترغيبه صلى الله عليه وسلم في طلب العلم، وسماع الحديث، وأدائه إلى الغير على وفق ما سمعه السامع:

فقد روى البخاري، عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يُرد

الله به خيرًا يفقه في الدين».

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: فإني سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماوات والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

فتحريض النبي صلى الله عليه وسلم على سماع الحديث ونقله، يدل على عنايته صلى الله عليه وسلم بحفظ سنته.

(ب) أثر الصحابة -رضوان الله عليهم- في حفظ السنة:

ولذلك أمثلة أيضًا؛ منها: ما اختص به الصحابة -رضوان الله عليهم- من شدة الحرص على الحديث، وعظيم الاهتمام والعناية به:

فقد أخرج البخاري، عن أبي شريح أنه قال لعمرو بن سعيد -وهو يبعث البعوث إلى مكة-: «ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به النبي صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به». ثم ذكر الحديث. وهذا يدل على أن الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يهتمّون ويحرصون ويبالغون في حفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهذا الراوي يقول: بأن ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الفتح، قال: «سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به».

ومنها: ما أُثر أيضًا عن الصحابة في حفظ السنة: مذاكرة الصحابة -رضوان الله عليهم- العلم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك أيضًا: مذاكرتهم السُّنة بعضهم مع بعض، وقد كانوا يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويسألونه فيما أُشكل عليهم فهمه، كما أخرج البخاري، عن أبي مليكة رضي الله عنه: «أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه؛ حتى تعرفه». وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا؛ حتى نحفظه».

(جـ) أثر التابعين ومن بعدهم من أهل العلم في حفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد اهتمّ التابعون ومن بعدهم من أهل العلم اهتمامًا عظيمًا بالسنة، وحرصوا على حفظها، وتوثيقها، وضبطها، وتثبتوا في قبول الأخبار بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم، واحتاطوا في روايتها احتياطًا بالغًا، وكثرت فيهم الرحلات طلبًا للحديث والعلوّ في الإسناد، واشتهر ذلك عنهم.

ومن أهم ما تميزت به مرحلة التابعين من بعدهم، وكانت علامة واضحة في حفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم تدوين السنة:

وكان ذلك في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حيث أمر العلماء، من أمثال: أبي بكر بن حزم، وابن شهاب الزهري، وغيرهم، بجمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك خشية نسيان العلم وذهاب أهله، واعتبر العلماء تدوين عمر بن عبد العزيز هذا، أول مرحلة في تدوين سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم كان عصر التصنيف بعد ذلك، فصُنّفت الأحاديث في الجوامع والمسانيد.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تحذير هام !!
في بيتك صالة قمار

إعداد د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله الذي كتب أرزاق العباد قبل خلقهم، وأمرهم بأن يُجملوا في طلب الرزق؛ لأن ما عند الله لا يُنال بمعصيته، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي بيّن أن الإنسان مسؤول عن ماله من جهة اكتسابه وبذله، وفصل له ما يجوز فيه بذله، وما يحرم عليه فعله، وأن هذه الدنيا دار ابتلاء، فامتثل الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان.

ولكن خلف من بعدهم خلف كان همهم جني المال ولكن بلا عمل ولا جهد، بغير زراعة أو صناعة أو تجارة، فوصل بهم الأمر إلى اقتحام الحرام بمزاولة القمار المحرم في شتى الملل والنِّحَل طلبًا للثراء السريع.

ومؤخرًا أظهرت إحصائيات موقع 1x Bet -أكبر موقع للمراهنات- أن مصر جاءت في عام ٢٠٢٣م في الموقع الخامس في لعب القمار الإلكتروني؛ حيث زاوَل نحو الخمسة ملايين هذا النوع من القمار بواسطة شبكة الإنترنت، بتكلفة بلغت ١,٢٠٠ مليار ومائتي مليار دولار؛ أي نحو ستين مليار جنيه مصري. وهو ما يدعونا إلى الحديث عن ظاهرة القمار الإلكتروني.

القمار والميسر:

القمار مأخوذ من الخداع، يقال: تقمرته، إذا خدعته. قال الأصمعي: تقمّر الصياد الظباء طلب غرتها وخدعها. والميسر مشتق من اليسر بمعنى السهولة؛ لأن المال يجيء للكاسب بيسر وسهولة من غير كدّ ولا تعب، ومن هذا المعنى حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الدين يسر" (صحيح البخاري)، وحديث أنس عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يسِّروا ولا تعسِّروا" (صحيح البخاري).

والقمار والميسر بمعنى واحد؛ فإذا ذُكر أحدهما دلّ على الآخر، فاسم الميسر يُطلق على سائر ضروب القمار، وقد ذكر ابن عبد البر في التمهيد إجماع العلماء على ذلك فقال: "ولم يختلف العلماء أن القمار من الميسر المحرم".

ونقله الطبري في تفسيره عن جمع من

الصحابة والتابعين.

صورة الميسر في الجاهلية:

اشتهر الميسر عند العرب في الجاهلية، وصفته أنه كان عشرة رجال يشتركون في شراء الجزور ويدفعون ثمنها بالسوية، ويقسمونها إلى ثمانية وعشرين جزءًا متساوية، وكانت لهم عشرة أقداح وهي: الفذ، والتوأم، والرقيب، والحلس، والمسبل، والمعلى، والنافس، والمنيح، والسفيح، والوغد، وهذه القداح سبعة منها لكل واحد منها نصيب معلوم، وثلاثة لا نصيب لها وهي (الوغد والسفيح والمنيح)، فللفذ سهم، وللتوأم سهمان، وللرقيب ثلاثة، وللحلس أربعة، وللنافس خمسة، وللمسبل ستة، وللمعلى سبعة، حيث كانوا يجعلون هذه الأقداح (وتسمى أيضًا الأزلام أو الأقلام) في يد رجل يجلجلها ويدخل يده في الربابة أو الخريطة فيخرج باسم رجل قدحًا منها، فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح، ومن خرج له قدح لا نصيب له (الوغد والسفيح والمنيح) لم يأخذ شيئًا (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري، ج١، ص٢٦١ و٢٦٢).

القمار في الغرب:

تم تخصيص أماكن كاملة للقمار عُرفت باسم «الكازينو»، وعُرفت بعض المدن بمزاولة القمار مثل مدينة «لاس فيجاس» الأمريكية. واتجهت عصابات المافيا بقوة إلى هذه الكازينوهات وذلك بغية غسل الأموال المشبوهة التي نتجت عن أنشطتهم المحرمة. وأبيحت الرهانات التي تجري على الخيول، وفي عام ١٩٠٢م تأسست شركة تخصّصت في المراهنات على الخيول بإنجلترا وهي شركة «لادبوركس». وانتشرت الرهانات الخاصة بالخيول مثل "رويال أسكوت" بإنجلترا وهو أشهرها، و"شلتنهام" في إنجلترا أيضًا، وسباقات "ديربي كنتاكي" و"أرلينجتون ميليون" في الولايات المتحدة، وأقبل أثرياء العرب على استثمار مئات الملايين من الدولارات في مزارع الخيول وخاصة بإنجلترا.

وتم تخصيص قاعات لمزاولة القمار في الفنادق الفاخرة، وهي صالات القمار، والتي غالبًا ما تقترن بالبارات التي تُقدّم فيها الخمور ليجتمع بذلك الشرّان (الخمر والميسر).

ثم استقدمت الفنادق الكبرى ماكينات القمار (ماشين كوينز)، والتي يضع فيها المقامر دولارًا أو جنيهًا إسترلينيًا واحدًا، وله ثلاث محاولات فإن فاز كسب ٥٠ دولارًا، وإن باءت محاولاته بالفشل خسر الدولار.

وفي عام ١٩٦١م تأسست أول شركة بإنجلترا للمراهنات على نتائج مباريات كرة القدم بعد صدور قانون ١٩٦١م بشرعية مكاتب الرهانات هذه.

القمار بعد ظهور الإنترنت:

تغيّر شأن المقامرة بظهور الإنترنت، فمنذ نحو ثلاثين سنة وتحديدًا عام ١٩٩٤م ظهر أول كازينو للقمار على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وكان وراءه عصابات المافيا، وبذلك أمكن للمقامر من خلال وسائل الدفع الإلكترونية لعب القمار، وهو في منزله دون أن يقدم إلى «لاس فيجاس»، ودون أن يقدم إلى صالات المراهنات وقاعات القمار. وانتقلت المقامرات إلى طور جديد؛ حيث لم تعد المقامرة على عجلة الروليت أو الأوراق (الكوتشينة)، وإنما امتدت المراهنات إلى سباقات السيارات، ثم شملت سائر المسابقات الرياضية؛ وخاصة كرة القدم.

المقامرات على مباريات كرة القدم:

انتقلت المقامرات إلى الرياضة الأشهر في العالم وهي كرة القدم، ليزداد بذلك عدد المقامرين

بصورة غير مسبوقة، واجتذبت قطاعًا واسعًا من المراهقين، ونتيجة لهذه المقامرات وقعت أحداثٌ مؤسفة، منها حوادث الشغب التي نتج عنها إزهاق العديد من الأرواح وإتلاف المنشآت والتي زادت كثيرًا مع هذه المقامرات، بل ووصل الأمر إلى القتل العمد لبعض اللاعبين!!

فحينما راهنت عصابات المافيا على منتخب كولومبيا في كأس العالم المقام بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٤، بعد ما لعب ٢٦ مباراة لم يهزم فيها إلا مرة واحدة، وبعد انتصاره الكبير على منتخب الأرجنتين (٥- صفر)، ولكن خاب رهانهم نتيجة خطأ وقع من اللاعب الكولومبي "أندريس إسكوبار" والذي أحرز هدفًا في فريقه مما أدى إلى هزيمته أمام منتخب الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما أدى بعصابات المافيا إلى خسارة رهانات ضخمة بملايين الدولارات، وهو ما انتهى بهم إلى قتل هذا اللاعب نتيجة الخسارات الفادحة التي تعرضوا لها.

ظهور أخطر موقع للقمار الإليكتروني:

في عام ٢٠٠٧م تأسس موقع 1xBet (وان إكس بت) بروسيا، ولتضييق الحكومة الروسية عليه وحظر مقامراته لخطرها على الشباب انتقل الموقع عام ٢٠١٧م إلى إنجلترا، التي اشتهرت بالمقامرات، وخاصة في مجال الرياضة، وفي ذات العام أبرمت 1xBet عقد رعاية مع الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم ليظهر اللوجو (الشعار) الخاص بها لأول مرة على ملابس اللاعبين وبلوحات الإعلانات بالملاعب ليشاهدها الملايين.

وأنشئت مواقع باللغة العربية لجذب المتراهنين العرب الذين لا يتقنون اللغات الأجنبية، ووصلت قيمة الجوائز إلى مبالغ شديدة الضخامة سال لها لُعاب الطامعين في الثراء بغير عمل.

وتسبَّب هذا الموقع في تطور الرهانات بشكل غير مسبوق، فلم تعد المراهنات بشأن من يفوز في المباراة، وإنما أصبحت مَن يُحرز الهدف؟ وفي أيِّ شوط من أشواط المباراة؟ بل وفي أي دقيقة؟ وهل ستشهد المباراة ركلات جزاء أم لا؟

ونتيجة لتعرُّض كثير من الشباب لخسارة المراهنات حدثت حالات انتحار عديدة في عام ٢٠١٩م، فأصدر اتحاد كرة القدم الإنجليزي قرارًا بمنع المقامرات على كرة القدم، ولكن لأن شركه 1xBet تحصل على ٣٠٪ من قيمة هذه المراهنات فقد استأجرت بعض الإعلاميين والذين شنّوا حربًا شرسة على اتحاد كرة القدم الإنجليزي متّهمة إياه بتلقي رشاوى لإضعاف الأندية البريطانية وإضعاف الدوري الإنجليزي لصالح جهات أخرى، وخاصة وأن عقود الرعاية لشركة 1xBet يعود عليها مبالغ مالية كبيرة للأندية تستطيع من خلالها إحضار أفضل اللاعبين، وهو ما أدى للتراجع عن هذا القرار.

ولكن في عام ٢٠٢٢م، ونتيجة انتحار ٦٥٠ من شباب الإنجليز بسبب خسارة مقامرات كرة القدم: أصدرت الحكومة البريطانية قرارها بمنع الدعاية لشركات القمار اعتبارًا من عام ٢٠٢٥م، وإنهاء كافة عقود الرعاية بحلول هذا التاريخ، لتنتقل هذه الشركة إلى الأسواق العربية لتنفث سمومها فيها.

انتقال أشهر موقع للقمار الالكتروني إلى الأسواق العربية:

نتيجة التضييق على شركة 1xBet في إنجلترا توجهت إلى الأسواق العربية، وخاصة مصر ذات الكثافة السكانية المرتفعة، ليظهر لوجو (شعار) الشركة في الملاعب المصرية لأول مرة في عام ٢٠٢٢م، وبعد عام واحد فقط تصبح مصر خامس دولة في لعب القمار الإلكتروني.

ولم يعُد لعب القمار على 1xBet يقتصر على المراهنات على كرة القدم أو ألعاب القمار التقليدية، وإنما ظهرت ألعاب إلكترونية أخرى مثل لعبة:

أفيتور ((Aviator وهي طائرة تنفجر في الجو، والمقامر يدفع مبلغ ١٠٠ج (مائة جنيه) فإن ضغط على الزر قبل أن تنفجر أو بعد أن تنفجر خسر رهانه، ولا يفوز إلا إن ضغط على الزر عند انفجارها.

الهواتف الذكية تنقل صالات القمار الى البيوت:

بظهور ما يسمى بالهواتف الذكية (وهي في الحقيقة هواتف خبيثة وليس ذكية)، قامت شركات المقامرات المختلفة بإعداد تطبيقات الخاصة بمواقع المقامرات، والتي يتم إنزالها على هذه الهواتف، ليتم مزاولة القمار من خلال كروت مسبقة الدفع مثل كروت الشحن، وبظهور وسائل الدفع الإلكترونية زادت وتيرة مزاولة القمار، بل وأصبحت بطاقات الائتمان تُستخدم لهذا الغرض. وبذلك لم يَعُد هناك حاجة إلى الذهاب إلى صالات القمار المشبوهة، التي تجعل الإنسان منبوذًا من ذويه، وإنما انتقلت صالات القمار إلى البيوت، فأصبح الشاب يمارس القمار دون أن ينتبه أبواه إلى ذلك، بل وأصبح الزوج يلعب القمار وهو جالس ببيته إلى جوار زوجته والزوجة لا يدور بخلدها ذلك. ولم يسلم من ذلك الأطفال الذين يتعرضون لاستدراج ممنهج من قبل شركات القمار.

الاستدراج الممنهج للقمار:

وبظهور الذكاء الصناعي تنوعت أشكال الألعاب التي يمارس بها القمار، وتم حتى تناسب كل الأعمار. وظهر مخطط خبيث لتعويد الأطفال على ممارسة القمار منذ نعومة أظفارهم؛ حيث قامت هذه الشركات بتصميم ألعاب يحصل الطفل من خلالها على عملات افتراضية، من خلالها يمكنه ممارسة ألعاب أخرى بالمجان.

وهكذا مع ممارسة الأطفال لهذه الألعاب يعتادون هذه الألعاب حتى حدّ الإدمان، ولا يستطيعون الإقلاع عنها إلا بشق الأنفس، وهذه العملات الوهمية التي يحصلون عليها، تكون محفزًا لهم على مزاولة القمار.

وفي الآونة الأخيرة انتشرت على الإنترنت لعبة "بوكر"، وهي لعبة يلعب فيها أكثر من شخص لعبة قمار على رصيد وهمي من النقود (أشبه بنقاط)، ومع ملازمة هذه اللعبة يصبح الشخص الذي خسر ما لديه من النقود الوهمية بحاجة لنقود (وهمية) لإكمال اللعبة، فيقوم بشراء هذه النقود (الوهمية النقاط) من شخص آخر لديه رصيد (عن طريق تحويل هذه النقود الوهمية على الإنترنت) مقابل نقود حقيقة يتسلمها بيده. وأخذت هذه اللعبة تتعدد صورها، ولكن على نفس المنوال. ومن جهة أخرى أخذت مواقع القمار في نشر إعلانات ممولة بصورة كثيفة ومشوقة عن موقع القمار بها. ومَن يستجيب لها بدافع الفضول تبدأ رحلته المؤسفة مع هذه المقامرات. هذه الرحلة التي تبدأ بمواجهة بين المقامر والذكاء الصناعي، وتنتهي بالفقر والإفلاس، وربما تنتهي بحوادث مؤسفة لم يكن للمجتمعات عهد بها.

بعض الحوادث التي نجمت عن القمار:

حدثت بعض الحوادث المؤسفة الغريبة عن مجتمعنا نتيجة الانغماس في القمار، فهذا طفل في الحادية عشرة من عمره يتحصل على مبلغ ٨٠٠ج بغير علم أسرته، ويتوجه إلى سايبر للعب ليخسر هذا المبلغ فيُصاب بسكتة قلبية.

وهذا أحد المعلمين نتيجة خسارته في المقامرات يخطف تلميذه طلبًا للفدية ثم يقتله. وهذا أب - نتيجة الخسارات المتكررة في القمار، ولرفض كل معارفه إقراضه لعجزه المستمر عن الوفاء بديونه - قام بخطف ابنته الصغيرة ويطلب فدية حتى تقوم العائلة مجتمعة بسدادها، ولكن حتى لا يفتضح أمره قام بقتل ابنته!!

وهذا شاب يخسر في القمار، ويسرق المال من أسرته،

ويصل الأمر به إلى أن يسرق جدته المسنة ذات الثمانين عامًا والتي شاهدته حال سرقته لها، فما كان منه إلا أن قتل جدته.

القمار محرم في كافة الأديان:

القمار ليس محرمًا فقط في الشريعة الإسلامية، وإنما هو محرم أيضًا في اليهودية والنصرانية.

تحريم القمار في اليهودية:

في العهد القديم نجد النص على تحريم القمار بقوله في سفر الأمثال، الإصحاح ١٣، الآية ١١: "غنى البُطل يَقل والجامع بيديه يزداد". وفي سفر أمثال سليمان، الإصحاح ٢٨، الآية ٢٢ في قوله: "ذو العين الشريرة يعجل إلى الغنى ولا يعلم أن الفقر يأتيه".

وفي اليهودية يمنع القمار مطلقًا، ولذلك يحظر الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين كافة ألعاب القمار حتى في الطائرات التي تحلق في سمائهم منذ عقود عديدة، ولذلك يقدم إلى مدينة طابا المصرية مئات الصهاينة يوميًا للعب القمار الممنوع فى تل أبيب؛ حيث نشرت جريدة المصري اليوم بتاريخ ٢٠١٢/٣/٥م، تحت عنوان: "١٥٠٠ إسرائيلى يزورون المدينة يوميًا للعب القمار الممنوع فى تل أبيب"، وأشارت إلى أنه توجد كازينوهات وقاعات للقمار فى فنادق بطابا بسيناء، تستقبل النزلاء الإسرائيليين الذين يفدون للعب القمار المحظور فى إسرائيل فيجدون فى كازينوهات طابا الملجأ الأول والأقرب ليلعبوا القمار!!

تحريم القمار في النصرانية:

القمار محرم في النصرانية فقد سئل بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية السابق الأنبا شنودة خلال عظته الأسبوعية من أحد شباب الكنيسة عن حكم عمله فى إحدى صالات القمار بالفنادق الكبرى منذ ٧ سنوات هل هو حلال أم حرام؟ فأجابه بأن عمله محرم، وطلب منه البابا أن يترك عمله فورًا، وطلب اسم الشاب للبحث له عن عمل آخر حتى لا يفقد مصدر رزقه بترك العمل فى صالة القمار. (جريدة اليوم السابع العدد ٢٠٨٥ في ٢٠١٠/٤/٢م).

وعلى ذلك فالقمار محرم في كافة الشرائع السماوية، وإن كان الواقع العملي لأتباع هذه الديانات يشهد مخالفات لتعاليم دينهم؛ فإن هذا لا يعني إباحة هذه المعاملات، وإنما هو أمر يشهد على اتساع الفجوة بين النص السماوي وبين الواقع الإنساني، أو ما يجب أن يكون وما هو كائن، ولكن لا يعني ذلك أبدًا إباحة هذه المعاملات المحرمة فتظل محظورة، وتظل كل معاملة تشتمل على القمار محرمة لا يعول عليها شرعًا.

تحريم القمار في الإسلام:

الحكم الشرعي للقمار أنه محرم شرعًا، وتحريم القمار ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وأما الحكم الوضعي له فإن القمار يعتبر مانعًا من صحة العقود.

تحريم القمار بالقرآن الكريم

حرم المولى سبحانه وتعالى القمار في قوله عز وجل: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ» (سورة المائدة: ٩٠- ٩١).

وتضمنت هاتان الآيتان أوجهًا عديدة لتحريم القمار: أولها: دلالة الاقتران إذ وردت مع الأوثان والخمر المقطوع بحرمتها، وثانيها: وسمها بالرجس مما يدل على شدة التحريم، وثالثها:

أنها من عمل الشيطان وهو عدو مضل مبين، ورابعها: الأمر بالاجتناب دليل على التحريم، وخامسها: تعليق الفلاح على الامتثال للأمر بالاجتناب، وسادسها: أنه سبب لإيقاع العداوة، وسابعها: أنه سبب لإيقاع البغضاء، وثامنها: أنه سبب للصد عن ذكر الله، وتاسعها: أنه سبب للصد عن الصلاة، وعاشرها: استفهام " فهل أنتم منتهون" وهو بمعنى النهي.

تحريم القمار بالسنة المطهرة

ثبت تحريم القمار في السنة المطهرة بحديث أبي هريرة في الصحيحين قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "... ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق.."؛ فإذا كان من تلفظ بكلمة المقامرة فقال لغيره "أتراهن" عليه أن يتصدق ليتوب من هذا الذنب، فكيف بمن وقع في المقامرة وهو ما يدل على شدة تحريمها. كما ورد التحريم كذلك في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عن الخمر والميسر والكوبة...." (سنن أبي داود - كتاب الأشربة).

الإجماع على تحريم القمار:

اجتمعت كلمة أهل العلم على تحريم القمار وتواتر نقل علماء الأمة من المفسرين والفقهاء بذلك؛ فقد نقل هذا الإجماع الجصاص في تفسيره "أحكام القرآن"، وأبو حيان الأندلسي في تفسيره "البحر المحيط"، والقرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"، وابن تيمية في "الفتاوى الكبرى"، وابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري (فتح الباري)، والبدر العيني في شرحه لصحيح البخاري (عمدة القاري)، وابن حجر الهيتمي في كتابه "كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع".

بعض صور الميسر والقمار في العصر الحالي:

انتشرت معاملات المشوبة بالقمار في عصرنا الحالي مثل عقود التأمين، وبيع الأوراق المعروفة باسم اللوتري أو النصيب، والمسابقات التي تتم بطريق الهاتف على أرقام مخصصة لذلك وتكون قيمة الرسالة أكثر من الرسائل العادية، ويتم صرف الجائزة إلى أحد المشاركين فقط فيغرم المتسابق ثمن اتصاله الهاتفي على أمل أن يغنم آلاف الجنيهات، فتجني هذه الجهات من قيمة الاتصالات الهاتفية أضعاف ما يبذلونه من جوائز.

وألعاب النصيب من صور القمار المحرم شرعًا الذي لا يجوز للمسلم أن يقترفه، وقد صدرت فتاوى دار الإفتاء بتحريمها شرعًا.

وقد يمارس البعض القمار ولكن عن غير تعمُّد جهلاً منهم بحكمه، وربما لا يدري أن صنيعه من القمار المحرم كما يحدث في اللعب على المشاريب في المقاهي لمن يخسر في الطاولة أو الدومينو، أو قيام مشجعي الفرق الرياضية بالمراهنة على أن يقوم الفريق الخاسر بإطعام مشجعي الفريق الفائز على نفقتهم، وكما يحدث عند تأجير الملاعب المنتشرة المجهزة للعب مباراة لكرة القدم على أن يقوم الفريق الخاسر بدفع مقابل تأجير الصالة الرياضية، وهذا كله من القمار المحرم الذي يقع فيه البعض لعدم علمه بالحكم الشرعي، وهو ما يجب الانتهاء عنه.

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل، وأن يحفظ علينا ديننا. اللهم آمين؛ والحمد لله رب العالمين.

الاستغناء بالله تعالى

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا مِنْ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: "مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ. وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ" (متفق عليه).

ورواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ: "وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَا أَجِدُ لَكُمْ رِزْقًا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ" وإسناده حسن.

وعن حكيم بن حزامٍ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ" (متفقٌ عليه).

وعند الإمام مُسلم من حديث

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال وَهُوَ على المِنْبَرِ يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ المَسْأَلَةِ: "اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَاليَدُ العُلْيَا المُنْفِقَةُ وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ".

وفي المسند عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَلْيَبْدَأْ أَحَدُكُمْ بِمَنْ يَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ".

فَقُلْتُ: وَمِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَمِنِّي". قَالَ حَكِيمٌ: قُلْتُ: لَا تَكُونُ يَدِي تَحْتَ يَدِ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ أَبَدًا". (رواه الإمام أحمد ١٥٥٧٨، بسند صحيح).

وقال السندي: فقلت: ومنك، أي: لا ينبغي السؤال وان سأل منك.

"إن ناسا من الأنصار":

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث في كتاب الزكاة: لم يتعين لي أسماؤهم؛ إلا أن النسائي روى من طريق عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه ما يدل على أن أبا سعيد راوي هذا الحديث خُوطب بشيء من ذلك.

ولفظه: "سرحتني أمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعني لأسأله من حاجة شديدة، فأتيته وقعدت، فاستقبلني فقال: من استغنى أغناه الله. الحديث وزاد فيه: "ومن سأل وله أوقية فقد ألحف".

فقلت: ناقتي خير من أوقية، فرجعت ولم أسأله.

وقال في شرحه لكتاب الرقاق: "قوله: إن أناسًا من الأنصار" لم أقف على أسمائهم، وتقدم في الزكاة من طريق مالك عن ابن شهاب الإشارة إلى أن منهم أبا سعيد.

ووقع عند أحمد: إن رجلاً كان ذا حاجة فقال له أهله: ائت النبي صلى الله عليه وسلم: فاسأله فأتاه": فذكر المذكور هنا.

وعن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: سرحتني أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فأتيته فقال: الحديث.

فعرف المراد بقوله: "أهله".

ومن طريق هلال بن حصين قال: نزلت على أبي سعيد، فحدَّث أنه أصبح وقد عصب على بطنه حجرًا من الجوع؛ فقالت له امرأته أو أمه: ائت النبي صلى الله عليه وسلم فاسأله؛ فقد أتاه فلان فسأله فأعطاه. ووقع عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه وقع له نحو ما وقع لأبي سعيد، وأن ذلك حين افتُتحت قريظة.

"ومَنْ يَستعفف يُعفه الله"

قال ابن التين: معنى قوله: يُعفه الله إمّا أن يرزقه من المال ما يَستغني به عن السُّؤال، وإمّا أن يرزُقه القناعة.

وقال القرطبي في شرح مسلم: "ومن يستعفف": أي عن السؤال للخلق. "يعفه الله": أي: يُجازه فضيلة التعفف على استعفافه، بصيانة وجهه، ورفع فاقته.

وقال القاري: "ومَنْ يَسْتعففْ" أيْ: مَنْ يطْلُبْ مِنْ نفْسه العفّة عن السُّؤال، قال الطّيبيُ: أوْ يطْلُب العفّة من الله تعالى: "يُعفّهُ اللّهُ" أيْ يجْعلهُ عفيفًا، من الإعْفاف، وهو إعْطاءُ العفّة، وهي الحفْظُ عن المناهي.

وقال ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين: "فمن يستعف عما حرم الله عليه من النساء: يعفه الله عز وجل".

"ومَنْ يَسْتغْنِ يُغْنِه اللّه"

وفي رواية "ومَنْ استَكفَى كفاهُ الله": قال القُرطُبيّ: قوْلُه "ومَنْ يَسْتغْنِ" أيْ بالله عمّنْ سواهُ، وقوْلُه "يغنه" أيْ فإنّهُ يُعْطيه ما يَسْتغْني به عن السُّؤال ويخْلُق في قلْبه الغنى؛ فإنّ الغنى غنى النّفْس.

وقال القاري في "المرقاة: "ومَنْ يَسْتغْنِ" أيْ يُظْهرْ الغنى بالاسْتغْناء عنْ أمْوال النّاس، والتّعفُّف عن السُّؤال، حتّى يحْسبُهُ الجاهلُ غنيًا من التّعفُّف؛ "يُغْنه اللّهُ" أيْ يجْعلْهُ غنيًا، أيْ بالقلْب. انْتهى.

وقال ابن عثيمين: "من يستغن بما عند الله عما في أيدي الناس: يغنه الله عز وجل"، وأما من يسأل الناس ويحتاج لما عندهم فإنه سيبقى قلبه فقيرًا، والغنى غنى القلب، فإذا استغنى الإنسان بما عند الله عما في أيدي الناس؛ أغناه الله عن الناس، وجعله عزيز النفس بعيدًا عن السؤال.

"ومَنْ يتصبرْ يُصبِّرْهُ اللّهُ":

قال القُرْطُبي: "ومَنْ يتصبّرْ" أيْ يُعالج نفْسه على ترْك السُّؤال، ويصْبر إلى أنْ يحْصل لهُ الرِّزْق؛

"يُصبِّره الله": أي فإنَّه يُقوِّيه ويُمكِّنه من نفسه، حتَّى تنقاد له، ويُذعن لتحمُّل الشدَّة، فعند ذلك يكون الله معه فيُظفره بمطلوبه.

"وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر"

قال ابن بطال: أرفع الصابرين منزلة عند الله من صبر عن محارم الله، وصبر على العمل بطاعة الله، ومن فعل ذلك فهو من خالص عباد الله وصفوته؛ ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم: "لن تعطوا عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر" (شرح صحيح البخاري لابن بطال).

قال ابن حجر: "في الحديث الحضّ على الاستغناء عن النّاس والتعفُّف عن سؤالهم بالصبر والتوكل على الله وانتظار ما يرزقه الله، وأنّ الصبر أفضل ما يُعطاه المرء لكون الجزاء عليه غير مُقدَّر ولا محدود".

وقال النووي: "في هذا الحديث: الحثُّ على التعفُّف والقناعة والرضا بما تيسَّر في عفاف وإن كان قليلاً".

«اليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى»

اليد العليا: المنفقة المعطية، والسُّفلى: الآخذة السائلة؛ هكذا فسَّره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر عند مسلم الذي ذكرناه آنفا وفيه: "اليدُ العُليا المُنفقة والسُّفلى السائلة".

«وابدأ بمن تعول»

فالإنسان في الإحسان يبدأ بمن يعول ممن تجب عليه نفقتهم: من والديه، وأولاده، وزوجته، وخدمه من غير إسراف ولا مخيلة، يبدأ بهم ويُقدِّمهم على البعيدين. وقد سُئل بعض السلف عن المقصود بمن تعول؟ فقال: زوجتك، تقول: أنفق عليّ أو فارقني، وخادمك، يقول: أطعمني واستعملني، وولدك، يقول: إلى من تتركني؟

وهنا ينبغي أن نُذكِّر الأغنياء من أصحاب المصانع والشركات والتجارات بأن يهتموا بالعاملين عندهم ويراجعوا أجورهم ليكفوهم مؤنتهم قدر المستطاع فإنهم مسؤولون عنهم بين يدي الله عز وجل.

«عن ظهر غنى»

أي زائدا عن حاجته، والمراد: أفضل الصدقة ما أخرجه الإنسان من ماله بعد أن يستبقي منه قدر كفايته.

وفي حديث عوف بن مالك الأشجعيّ رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ألا تبايعون رسول الله؟) وكنا حديثي عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: (ألا تبايعون رسول الله؟)، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: (ألا تبايعون رسول الله؟)؛ قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: (على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا- وأسرّ كلمة خفية-ولا تسألوا الناس شيئًا)؛ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه" (رواه مسلم).

ولا يدخل في ذلك ما يُهدى أو يأتي إلى المرء من عطايا أو هبات دون أن يسألها أو يطلبها: فعن السائب بن يزيد قال: لقي عُمرُ بنُ الخطاب عبدَ الله بنَ السعديّ فقال: ألم أُحدَّث أنك تلي العمل من أعمال المسلمين، ثم تُعطى عمالتك فلا تقبلها؟ قال: إني بخير، ولي رقيق وأفراس، وأنا غنيّ عنها، وأحبّ أن يكون عملي صدقة على المسلمين. فقال عمر: لا تفعل، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُعطيني العطايا، فأقول: يا نبيّ الله أعطه غيري، حتى أعطاني مرة، فقلت: يا نبيّ الله أعطه غيري. فقال: "خُذه يا عمر، فإما أن تتموّله، وإما أن تصدّق به، وما آتاك الله من هذا المال وأنت غير مُشرف ولا سائل فخُذه، وما لا فلا تُتبعه نفسك".

قلت: لكن حكيم بن حزام أبى أن يأخذ العطاء من الخلفاء وهو حق له.

"وابدأ بمن تعول":

أي: إن كان عندك زيادة من مال فابدأ بأهلك الذين تعولهم؛ لأنّ المسلم يجب عليه أن يبدأ بالنَّفقة الواجبة عليه، ومنها النَّفقة على زوجته وأبنائه، وبعد ذلك يمكنه أن يتصدّق على الأقربين ثمّ من سواهم.

"وخير الصّدقة عن ظهر غنى":

أي: لا صدقة إلا بعد إحراز قوته وقوت أهله؛ لأن الابتداء بالفرائض قبل النّوافل أولى، وليس لأحدٍ إتلاف نفسه أو إتلاف أهله بإحياء غيره. وإنما عليه إحياء غيره بعد إحياء نفسه وأهله؛ إذ حقُّ نفسه وحقُّ أهله أوجب عليه من حقّ سائر النّاس.

ولأجل هذا نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن أبي وقاص أن يوصي في ماله بأزيد من الثلث؛ وعلل ذلك بقوله: "إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس".

فائدة:

يُستفاد من الأحاديث: أن الإنسان يحرص على القناعة والكفاف والاستغناء عمّا في أيدي الناس، ويقنع بما يسدّ حاجته ويُغنيه عن الاستكثار والبذخ والإسراف والتّبذير، بل يكون طالبًا للحلال مستعينًا بالله عليه ومستغنيًا عمّا في أيدي الناس. وقد روى أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسدّ فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك" والحديث صححه الألباني.

وفي رواية: تلا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ» الآيـة، ثم قال: يقولُ اللهُ تعالى: ابنَ آدمَ! تفرَّغْ لعبادتي، أملأْ صدرَك غنًى، وأسُدَّ فقرَك، وإلا تفعلْ، ملأْتُ صدرَك شُغلًا ولم أسُدَّ فقرَك. (صحيح الترغيب والترهيب للمنذري).

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول ربكم: يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقًا، يا ابن آدم لا تباعد مني أملأ قلبك فقرًا، وأملأ يديك شغلاً" (رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد).

وليس المقصود بالتفرغ للعبادة ترك العمل للدنيا وكسب الرزق فيها، ولكن المقصود العبادة بمعناها الواسع، وهو أن يبتغي بكل ما يعمل وجه الله عز وجل، حتى حينما يعمل لدنياه من كسب قوت وتربية عيال، وكذلك حينما يستمتع بلذات الدنيا؛ وفي حديث سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تطعمها امرأتك، أو قال:

تجعلها في في -أي: فم- امرأتك".

وفي الحديث أيضًا: "وفي بضع أحدكم صدقة".

والمقصود ألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه وينسى عمل الآخرة.. بل يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا؛ قال الله عز وجل: «وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ» (القصص: ٧٧).

وعن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَن كانت الدنيا همَّه فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له. ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة" (رواه ابن ماجه ورجاله ثقات).

نسأل الله أن يرزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى.

والحمد لله رب العالمين.

ثمرات الإخلاص لله تعالى

إعداد أ.عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الإخلاص لله تبارك وتعالى في الأقوال والأعمال من أهم أعمال القلوب، وأعظمها قدرًا وشأنًا، فبحسب الاخلاص يكون قبول عمل العبد أو يُرَدّ عليه. والدين كله يقوم على الإخلاص لله تعالى؛ يقول الله جل وعلا: «وَمَا أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ» (البينة: ٥). وقال تبارك وتعالى: «قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ» (الزمر:١١). وقال سبحانه وتعالى: «قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى» (الزمر:١٤).

والإخلاص لُبُّ الأعمال وروحها، وله ثمراتٌ عظيمة في دنيا المسلم وآخرته؛ إذ بالإخلاص تطمئن القلوب، وتهدأ النفوس؛ لأنها تعامل علام الغيوب، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، والذي يعلم السر وأخفى، فيرجون بعملهم كله وجه ربهم سبحانه، شعارهم دائمًا قوله تعالى: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا» (الإنسان: ٩).

ثمرات الإخلاص:

للإخلاص ثمرات عظيمة، تنفع العبد في دنياه، وتسعده يوم يلقى ربه سبحانه، ومن أبرز الشواهد على نفع الإخلاص في الدنيا ما يلي:

أ- تفريج الكربات، وإزاحة الغموم، وإذهاب الهموم:

ومن ذلك ما ثبت في الصحيح في قصة أصحاب الغار أولئك الثلاثة الذين أخبرنا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم أنهم دخلوا غارًا فوقعت صخرة فسدت عليهم باب الغار فتوسلوا إلى الله بالإخلاص، وتوسل كل واحد من الثلاثة بإخلاصه في عمله لله تعالى، فكلهم يقول: (اللهُمَّ فإنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلكَ ابْتغاءَ وَجْهكَ فَافْرُجْ عنَّا ما نَحْنُ فيه).

ولما علم الله إخلاصهم فرّج عنهم الله ببركة إخلاصهم.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله وهو يستنبط الفوائد والعبر من هذا الحديث: "وفيه من العبر: أن الإخلاص من أسباب تفريج الكربات؛ لأن كل واحد منهم يقول: (اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه). أما الرياء- والعياذ بالله-، والذي لا يعمل الأعمال إلا رياء

وسمعة حتى يمدح عند الناس؛ فإن هذا كالزبد يذهب جفاء لا ينتفع منه صاحبه؛ نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإخلاص له.

ولما كان الإخلاص هو أساس كل عمل، فلا تجعل نصيبًا من عبادتك لأحد، اجعلها كلها لله عز وجل حتى تكون مقبولة عند الله؛ لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن الله عز وجل أنه قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» (أخرجه مسلم: ٥٣٠٠)، فكان الإخلاص في العمل سببًا لزحزحة الصخرة العظيمة في الجبل بإذن الله تعالى. (شرح رياض الصالحين (١٤/١) للشيخ ابن عثيمين رحمه الله).

ومن الأدلة أيضًا على أن الإخلاص لله تعالى في العمل ينجي صاحبه في الدنيا والآخرة، ما صح عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "يغزُو جَيْشٌ الكعْبةَ فإذا كانُوا ببيْداءَ من الأرض يُخْسَفُ بأوَّلِهِمْ وآخرِهِمْ). قالتْ: قلتُ: يا رسُولَ الله، كيفَ يُخْسَفُ بأوَّلِهِمْ وآخرِهِمْ وفيهِمْ أسْواقُهُمْ ومَنْ ليْسَ منهُمْ؟! قال: (يُخْسَفُ بأوَّلِهِمْ وآخرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُون على نيَّاتِهِمْ). (أخرجه البخاري ٢١١٨).

ففي هذا الحديث إشارة إلى أن دور النية الصالحة والإخلاص لله تعالى يجعل المرء بمنجاة عن الهلكة في الآخرة.

ب- سكينة النفس واطمئنانها:

الإخلاص يُكسب صاحبه الأمن والسكينة، فيشعر بانشراح الصدر، وهدوء النفس، وفي الحديث أنس ابن مالك-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كانت الآخرةُ همَّهُ، جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شَمْلَهُ، وأتَتْهُ الدنيا وهي راغمة، ومَنْ كانت الدنيا همَّه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شَمْلَهُ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له». (أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني).

قال العلامة المباركفوري في "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي": (همَّهُ) أي قصْدُهُ ونيَّتُهُ. (جعل الله غناهُ في قلبه) أي جعله قانعا بالكفاف والكفاية كي لا يتعب في طلب الزيادة (وجمع له شمْلهُ) أي أُمُورهُ المُتفرِّقة بأنْ جعلهُ مجْمُوع الخاطر بتهيئة أسبابه من حيثُ لا يشعُرُ به (وأتتْهُ الدُّنيا) أي ما قُدِّر وقُسم له منها (وهي راغمةٌ) أي ذليلة حقيرة تابعةٌ له لا يحتاجُ في طلبها إلى سعْي كثير، بل تأتيه هيِّنة ليِّنة على رغْم أنفها وأنف أربابها.

(ومنْ كانت الدُّنيا همَّهُ) وفي المشكاة: ومنْ كانت نيَّتُهُ طلب الدُّنيا (جعل الله فقرهُ بيْن عيْنيه) الاحتياج إلى الخلق كالأمر المحْسُوم منْصُوبا بيْن عيْنيْه (وفرَّق عليه شمْلهُ) أي أمُورهُ المُجْتمعة. قال الطِّيبيُّ: يُقالُ جمع الله شمْلهُ أي ما تشتَّت منْ أمْره.

وفرَّق الله شمْلهُ أيْ ما اجْتمع منْ أمْره، فهُو منْ الأضْداد (ولمْ يأته منْ الدُّنْيا إلا ما قُدِّر لهُ) أيْ وهُو راغمٌ، فلا يأتيه ما يطْلُبُ منْ الزِّيادة على رغْم أنْفه وأنْف أصْحابه. (تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: ١٣٩/٧).

جـ- النجاة من المهالك:

إن الله تعالى يَمُدّ المخلص بعونه، ويحرسه بعينه التي لا تنام، ولا يتخلى عنه إذا حلت بساحته الخطوب، وأحاطت به الشدائد والكروب، فهو سبحانه يستجيب دعاءه، ويلبي نداءه، ويكشف عنه الغمة.

ومن عجيب ما ذكره القرآن في ذلك: استجابة الله تعالى دعاء المشركين، إذا جرت بهم الفلك في البحر، وهاجت عليهم الريح، وأحاط بهم الموج من كل مكان، فيدعون الله في تلك اللحظات بصدق وإخلاص، فيستجيب لهم، وإن غيروا بعد ذلك

وبدلوا، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (يونس:٢٢-٢٣). وإنما أنجاهم واستجاب لهم، لأنهم ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فقد رجعوا في تلك اللحظة إلى الفطرة، وسقطت الآلهة المزيفة، ولم يبق لديهم إلا الله يدعونه بإخلاص ويتجهون إليه.

د- الإخلاص يقلب المباحات إلى طاعات:

فقد روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرْتَ عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك".

هـ- النية الخالصة تبلغ مبلغ العمل: قال صلى الله عليه وسلم: "من أتى إلى فراشه وهو ينوي أن يقوم من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كُتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل" (رواه النسائي وصححه الألباني). وقال صلى الله عليه وسلم: "من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه" (رواه مسلم في صحيحه).

و- الإخلاص يحمي العبد من كيد الشيطان:

قال الله تعالى عن يوسف -وقد نجا من كيد امرأة العزيز-: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف:٢٣). (قاعدة الانطلاق وقارب النجاة: فيصل بن علي البعداني).

ز- النجاح في الدنيا والآخرة:

إن المخلص لله تعالى في أقواله وأعماله ونياته موعودٌ بالنجاحين: النجاح في الدنيا والنجاح في الآخرة، وليس هناك من طريق يجمع النجاح في الدنيا والآخرة غير طريق الإخلاص، فقد ينال غير المخلص مراده وينجح في تحقيق هدفه الدنيوي، لكنه لن يحصل على نجاح الآخرة وثوابها. قال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ١٣٤). "من كان يريد" بعمله "ثواب الدنيا": "فعند الله ثواب الدنيا والآخرة" لمن أراده لا عند غيره، فلماذا يطلب أحدكم الأخسّ، وهلا طلب الأعلى بإخلاص له حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده "وكان الله سميعاً بصيراً"؟!

ح- الإخلاص سبب لنجاة المسلم من النار:

ولو لقي رجلٌ مشرك ربه -سبحانه وتعالى- بالدنيا وما فيها، وقدّمه لله تعالى لينجّيه من النار لن ينفعه ذلك؛ لأنه لم يكن موحِّدًا مخلِصًا، قال -عليه الصلاة والسلام-: "يَقولُ اللَّهُ -تَبارَكَ وتَعالَى- لأَهْوَنِ أهْلِ النّارِ عَذابًا: لَوْ كانَتْ لكَ الدُّنْيا وما فيها أكُنْتَ مُفْتَدِيًا بها؟ فيَقولُ: نَعَمْ. فيَقولُ: قدْ أرَدْتُ مِنْكَ أهْوَنَ مِن هذا وأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ أنْ لا تُشْرِكَ -أحْسَبُهُ قالَ- ولا أُدْخِلَكَ النّارَ؛ فأبَيْتَ إلّا الشِّرْكَ" (صحيح مسلم: ٧٢٦١).

وفي رواية في مسند الإمام أحمد: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: لَقَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ (مسند أحمد: ١٣٦٣٤). ومسلم بدون الآية.

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص له في الأقوال والأعمال، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

صفات عباد الرحمن

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الحَمْدُ لله رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا مُحَمَّد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين. وبعدُ:

فإن عباد الرحمن لهم صفات ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم، وذكرها نبينا صلى الله عليه وسلم في سُنَّته المباركة، وفي ذلك أقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) عِباد الرحمن يخلصون أعمالهم لله تعالى

قَالَ الله تعالى: (وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ) (البينة: ٥)؛ وقال جل شأنه: (قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ) (الزمر: ١١، ١٢).

وعَنْ أبي هُرَيْرَة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله، صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ (صحيح مسلم: ٢٩٨٥).

وعَنْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَالَ: قال رَسُول صلى الله عليه وسلم: مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي به وَجْهَ الله بَنَى الله لَهُ مِثْلَهُ في الجَنَّة. (البخاري حديث ٤٥٠، ومسلم حديث ٥٣٣)

(٢) عباد الرحمن يرضون بقضاء الله وقدره

قال سبحانه: (قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ) (التوبة:٥١). وقال الله تعالى: (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ) (الحديد:٢٢)

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخطاب، رَضِيَ الله عَنْهُ (وذلك في حديث سؤال جبْريل) أنَّ جبْريل قَالَ للنبيِّ، صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَخْبِرْني عَنِ الإيمان قَالَ: أنْ تُؤْمن بالله وَمَلَائكته وكُتُبه وَرُسُله واليَوْم الآخر، وَتُؤْمن بالقدر خيْره وَشَرِّه. (صحيح مسلم:١)

وعَنْ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامت لابْنه: يَا بُنَيَّ، إنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقيقَة الإيمان حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَكَ، سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ " يَا بُنَيَّ إنِّي سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي. (صحيح أبي داود للألباني حديث٣٩٣٣)

(٣) عباد الرحمن يتحاكمون إلى القرآن والسنة

قال جل شأنه: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ

وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا) (الأحزاب: ٣٦)، وقال سبحانه: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) (النور ٥١).

(٤) عباد الرحمن يحبون النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من محبة النفس والمال والولد

عن أنس، قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لا يُؤمنُ أحدُكم، حتّى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والنّاس أجمعين. (البخاري حديث:١٥، ومسلم حديث:٤٤).

وعن عبد الله بن هشام، قال: كُنّا مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبُّ إليّ من كلّ شيءٍ إلاّ من نفسي، فقال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم: لا (أي لا يكمل إيمانك)، والّذي نفسي بيده، حتّى أكون أحبَّ إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنّه الآن، والله، لأنت أحبُّ إليّ من نفسي، فقال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم: الآن (كمل إيمانك) يا عمر. (البخاري حديث:٦٦٣٢)

(٥) عباد الرحمن يحافظون على الصلاة جماعة في المساجد

قال الله تعالى: (وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (المؤمنون:٩) وعن عبد الله بن مسعود قال: من سرّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصّلوات حيث يُنادى بهن، فإنّ الله شرع لنبيّكم صلى الله عليه وسلم سُنن الهدى، وإنّهنّ من سُنن الهدى، ولو أنّكم صلّيتم في بيوتكم كما يُصلي هذا المتخلّف في بيته، لتركتم سنّة نبيّكم، ولو تركتم سنّة نبيّكم لضللتم، وما من رجل يتطهّر فيحسن الطّهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلاّ كتب الله له بكلّ خطوة يخطوها حسنةً، ويرفعه بها درجةً، ويحطّ عنه بها سيّئةً، ولقد رأيتنا وما يتخلّف عنها إلاّ منافقٌ معلوم النّفاق، ولقد كان الرّجل يُؤتى به يُهادى بين الرّجلين (يمسكه رجلان من جانبيه يعتمد عليهما) حتّى يُقام في الصّفّ. (صحيح مسلم:٦٥٤)

(٦) عباد الرحمن يخشعون في صلاتهم

قال الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ① ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ) (المؤمنون: ١، ٢)؛ وعن أبي أيّوب الأنصاري، قال: جاء رجلٌ إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله علّمني، وأوجز، قال: إذا قمت في صلاتك فصلّ صلاة مودّعٍ (أي كن كأنك تصلي آخر صلاتك)، ولا تكلّم بكلامٍ تعتذر منه، وأجمع (اعتقد وعزم) اليأس عمّا في أيدي النّاس. (صحيح ابن ماجه للألباني حديث:٣٣٦٣). حسن بشواهده

(٧) عباد الرحمن يؤدون الأمانات إلى أهلها ويوفون بالعهد

قال الله تعالى: (وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ) (المؤمنون:٨)، وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك. (صحيح أبي داود للألباني حديث٣٠١٩).وقال أحمد: باطل. فالله أعلم

وعن أنس بن مالك قال: ما خطبنا النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلاّ قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له. (حديث حسن: مسند أحمد ج٢٠ص٤٢٣حديث: ١٣١٩٩).

(٨) عباد الرحمن يذكرون الله تعالى في جميع أحوالهم

قال سبحانه: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨)، وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الأحزاب: ٤١، ٤٢).

وعن عبد الله بن بسر، أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إنّ شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيءٍ

أتشبَّثُ به، قال: لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكر الله. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٦٨٨).

(٩) عباد الرحمن يصبرون على البلاء

قال سبحانه وتعالى: (وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ) (البقرة ١٥٥:١٥٧).

وعَنْ صُهَيْب قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم: عجبًا لأمر المؤمن إنّ أمرَهُ كلَّهُ خيرٌ وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إنْ أصابته سراءُ شكر فكان خيرًا له وإنْ أصابتْه ضراءُ صبر فكان خيرًا له. (صحيح مسلم: ٢٩٩٩)

عنْ أنس بْن مالك قال: سمعتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقولُ: إنّ الله قال: إذا ابْتليْتُ عبْدي بحبيبتيْه (عيْنيْه) فصبر عوّضْتُهُ منْهما الجنّة. (البخاري حديث ٥٦٥٣).

(١٠) عباد الرحمن يصاحبون الأتقياء

عنْ أبي مُوسى رضي الله عنْهُ عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: مثلُ الجليس الصّالح والسّوْء، كحامل المسْك ونافخ الكير، فحاملُ المسْك: إمّا أنْ يُحْذيك (يعطيك)، وإمّا أنْ تبْتاع (تشتري) منْهُ، وإمّا أنْ تجد منْهُ ريحًا طيّبةً، ونافخُ الكير: إمّا أنْ يُحْرق ثيابك، وإمّا أنْ تجد ريحًا خبيثةً (البخاري حديث ٥٥٣٤، ومسلم حديث: ٢٦٢٨).

وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرّجُلُ على دين خليله فلْينْظُرْ أحدُكُمْ منْ يُخالل. (صحيح الترمذي للألباني حديث ١٩٣٧).

(١١) عباد الرحمن يحرصون على قيام الليل

قال سبحانه: (والّذين يبيتُون لربّهمْ سُجّدًا وقيامًا) (الفرقان:٦٤)، وعنْ أبي أُمامة الباهلي، عنْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم أنّهُ قال: عليْكُمْ بقيام اللّيْل، فإنّهُ دأْبُ الصّالحين قبْلكُمْ، وهُو قُرْبةٌ إلى ربّكُمْ، ومكْفرةٌ للسّيّئات، ومنْهاةٌ للإثْم. (صحيح الترمذي للألباني حديث:٢٨١٤).

(١٢) عباد الرحمن يخشون الله في السر والعلانية

قال تعالى: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ) (يس:١١)، وقال سبحانه: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ) (الملك:١٢).

(١٣) عباد الرحمن يعفون عن الناس عند المقدرة

قال تعالى: (وجزاءُ سيّئة سيّئةٌ مثْلُها فمنْ عفا وأصلح فأجْرُهُ على الله إنّهُ لا يُحبُّ الظّالمين) (الشورى:٤٠)، وعنْ أبي هُريْرة عنْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصتْ صدقةٌ منْ مال وما زاد اللهُ عبْدًا بعفْو إلاّ عزًّا وما تواضع أحدٌ لله إلاّ رفعهُ اللهُ (صحيح مسلم: ٢٥٨٨).

(١٤) عباد الرحمن مقتصدون في كل شيء

قال تعالى عند الحديث عن صفات عباد الرحمن: (والّذين إذا أنْفقُوا لمْ يُسْرفُوا ولمْ يقْتُرُوا وكان بيْن ذلك قوامًا) (الفرقان:٦٧): قال الإمامُ ابن كثير أي: ليْسُوا بمُبذّرين في إنْفاقهمْ فيصْرفُون فوْق الحاجة، ولا بُخلاء على أهْليهمْ فيُقصّرُون في حقّهمْ فلا يكْفُونهُمْ، بلْ عدْلًا خيارًا، وخيْرُ الأمُور أوْسطُها، لا هذا ولا هذا، (وكان بيْن ذلك قوامًا)، كما قال: (ولا تجْعلْ يدك مغْلُولةً إلى عُنُقك ولا تبْسُطْها كُلّ البسْط فتقْعُد ملُومًا محْسُورًا) (الإسْراء: ٢٩) (تفسير ابن كثير ج١٠ ص٣٢٢).

(١٥) عباد الرحمن لا يكذبون ولا يشهدون الزور

قال تعالى عن صفات عباد الرحمن: (وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا) (الفرقان:٧٢)، وعنْ أبي بكْرة رضي الله عنْهُ قال: قال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم: ألا أُنبّئُكُمْ بأكْبر الكبائر ثلاثًا قالوا بلى يا رسُول الله. قال: الإشْراكُ بالله وعُقُوقُ الوالديْن وجلس وكان مُتّكئًا فقال ألا وقوْلُ الزُّور (وهو الكذبُ متعمدًا على الغير)، قال

فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ. (البخاري حديث ٢٦٥٤، ومسلم حديث ٨٧).

(١٦) عباد الرحمن متواضعون ورفقاء بالناس

قال سبحانه: (وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا) (الفرقان: ٦٣)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّه صلى اللّه عليه وسلم قَالَ: مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إلاَّ رَفَعَهُ اللَّه. (صحيح مسلم: ٦٩).

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ. (صحيح مسلم: ٢٥٩٣).

(١٧) عباد الرحمن لا يحسدون أحداً على نعمة وهبها الله له

قَال الله تعالى: (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) (الحشر:٩).

وقَالَ: الحَسَنُ البَصْرِيُّ: (وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً) يَعْنِي: الحَسَدَ. (تفسير ابن كثير ج١٣ ص٤٨٩).

(١٨) عباد الرحمن يبادرون بالتوبة إلى الله تعالى

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. (صحيح مسلم: ٢٧٥٩).

(١٩) عباد الرحمن يتوكلون على الله ويأخذون بالأسباب المشروعة

قَالَ جَلَّ شَأنُه: (وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ) (إبراهيم:١١)، وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا. (صحيح الترمذي للألباني، حديث ٢٣٤٤).

(٢٠) عباد الرحمن يتعاطفون مع المسلمين في كل مكان

قال تعالى: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح:٢٩)، وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى. (صحيح مسلم:٢٥٨٦).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. (صحيح مسلم:٤٥).

(٢١) عباد الرحمن يحرصون على الكسب الحلال ويجتنبون الشبهات

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وإِنَّ حِمَى اللَّه مَحَارِمُهُ. (البخاري حديث ٥٢، ومسلم حديث ١٥٩٩).

(٢٢) عباد الرحمن يأمرون بالمعروف بالحكمة والموعظة الحسنة

قال الله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ) (آل عمران: ١١٠)، وقال سبحانه: (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ) (النحل: ١٢٥)، وعن أبي سَعِيد الخدري أن رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ. (صحيح مسلم: ٤٩).

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

من عدل الله ورحمته: المحاسبة والجزاء

قال الله تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» (الجاثية: ٢١).

من هدي الرسول ﷺ

حثُّه على إمهال المعسر أو التجاوز عن الدَّين

قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «مَن سرَّه أن يُنجِيه الله من كُرب يوم القيامة، فليُنَفِّس عن مُعسر، أو يضع عنه» (صحيح مسلم)

من معاني الأحاديث

الأثـرة: «قـال للأنـصـار: إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا». الأثرة-بفتح الهمزة والثاء- الاسم من آثر يوثر إيثارًا إذا أعطى، أراد أنه يستأثر عليكم فيُفضل غيركم في نصيبه من الفيء. والاستئثار: الانفراد بالشيء. (النهاية لابن الأثير).

من أقوال السلف

قال عبد الله الدَيلميَ: «بلغني أنَ أوَل ذهاب الدِين تـرْك السُنَة، يذهب الدَين سُنَة سُنَة كما يذهب الحبل قوَة قوَة" (سنن الدارمي).

من تفاسير السلف

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (الكهف: ١١٠): "وهذان رُكنا العمل المُتقبَل: لا بدَ أن يكون خالصًا لله، وصوابًا على شريعة رسول الله صلَى الله عليه وسلَم" (تفسير ابن كثير)

من درر العلماء

قـال العـزَ بن عبد السَلام- رحمه الله تعالى-: «الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان. وأفضلهما هجرة الإثـم والعـدوان؛ لما فيها مـن إرضـاء الرَحمـن، وإرغـام النَفس والشَيطان» (شجرة المعارف).

من دعاء النبي ﷺ

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»

صحيح البخاري

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هل ترون قِبْلتي ها هنا، فو الله ما يخفى عليَّ ركوعكم ولا سجودكم؛ إني لأراكم من وراء ظهري»

(صحيح البخاري)

اعداد/د. علاء خضر

حكم ومواعظ

قال الفضيل بن عياض: "المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير"

(جامع العلوم والحكم).

احذر أيها المحتكر

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الجالب مرزوق، والمحتكر محروم، ومَن احتكر على المسلمين طعاما ضربه الله بالإفلاس والجذام"

(جامع الأصول).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"إذا أدخل الله الموحدين النار أماتهم فيها، فإذا أراد أن يُخرجهم منها أمسّهم ألم العذاب تلك الساعة".

موضوع: رواه الديلمي في "مسند الفردوس" (٩٢/١/١)

(السلسلة الضعيفة للألباني).

من حكمة الشعر

قال الشّافعيّ -رحمه الله- في النصيحة:

تعهدني بنُصحك في انفرادى
وجنّبني النّصيحة في الجماعه
فإنّ النُصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

(النصيحة لابن رجب)

خشوع المؤمنين في الدنيا وخشوع الكافرين في الآخرة

أ. د محمد حامد الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد؛ فإنَّ المتأمل في القرآن الكريم يجد أنَّ الله سبحانه قد ذكر خشوع المؤمنين في الدنيا في مقام المدح والثواب، وذكر خشوع الظالمين والكافرين في الآخرة في مقام الذم العقاب وشتان ما بين الخشوعين ومصير الفريقين.

اعلم - وفقني الله وإياك لكل خير- أن الخشوع يدل في الأصل على معنى التطامن والتذلل والتواضع (ينظر: مقاييس اللغة ١٨٢/٢)).

وقد قال ابن رجب في رسالته (الذل والانكسار للعزيز الجبار) صـ١٦: " وأصل الخشوع هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوع وانكساره وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعة له...".

الخشوع في الدنيا لله رب العالمين عبادة جليلة يتصف بها المؤمنون المفلحون في صلاتهم، وفي غير صلاتهم؛ ولذا جاء الثناء على الخاشعين دون تخصيصٍ بالصلاة في مواضع كما جاء الثناء عليهم بخشوعهم في صلاتهم.

أما عن الخشوع في الصلاة فقد وصف الله به المؤمنين في قوله جلَّ ذكره: «قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ① ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ » (سورة المؤمنون:١-٢).

وانظر كيف أن الله عز وجل لما ذكر صفات المؤمنين افتتح تلك الصفات بالخشوع في الصلاة، وما ذلك إلا لأنها مفتاح لكل خير، وسبيل لإغلاق كل شرٍّ. وقد قرن بها الإعراض عن اللغو وذلك في قوله سبحانه: «وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ » (سورة المؤمنون:٣)؛ لأن من خشع في صلاته أعرض عن اللغو، ولم يقل زورا، ولم يغش فجورا.

وإذا قلت: ما السبيل إلى الخشوع في الصلاة؟ فالجواب: لقد سألت عن عظيم ينبغي الالتفات إليه، والاعتناء به، فكم من مصلٍ ليس بخاشع، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنَّ الرَّجُلَ

لَيصلي، وَلعلَّه أَنْ لا يكُونَ لَه مِنْ صلاتِه إلَّا عُشْرُها، وتُسْعُها، أَوْ ثُمُنُها، أَوْ سُبُعُها " حتَّى انْتهَى إلَى آخِرِ الْعَدَدِ" (أخرجه أحمد في مسنده(حديث١٨٨٧٩)، وابن حبان في صحيحه (حديث١٨٨٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما)).

والحق أن الحديث عن الخشوع في الصلاة وتفصيل القول في حكمه ومراتبه وفضله، والوسائل المعينة عليه- مع أهميته- ليس مقصود هذه المقالة بالأصالة، وإنما المقصود هنا تسليط الضوء على البون الشاسع، والفرق الكبير بين خشوع العبادة في الدنيا، وخشوع الذل والهوان في الآخرة؛ لتقوى العزائم على تحقيق الخشوع المحمود في تقربها للرب المعبود سبحانه. ولكني مع ذلك أجيبك هنا بإيجاز يناسب المقام فأقول:

إذا تأملت حقيقة الخشوع وجدت أنه يتضمن معنيين أحدهما: التواضع والذل، والآخر: السكون والطمأنينة وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة.

ويؤكد أن الخشوع يتضمن هذين المعنيين قوله سبحانه: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ» (سورة الروم:٣٩)، وفي قراءة أبي جعفر المدني وهي قراءة عشرية متواترة: «وربأت»، فأخبر أن الأرض بعد الخشوع تهتز والاهتزاز حركة وتربو والربو: الارتفاع فعلم أن الخشوع فيه سكون وانخفاض وتواضع (ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية(٢٨/٧)، (٥٥٥/٢٢)).

فإذا أردت أن تخشع في صلاتك فأقبل على ربك بتواضع وانكسار، واستحضر عظمة من تقف بين يديه، وجلال من تُصلي له، وتأمل قول: الله أكبر. وتفكر في حركات يديك حين ترفعها مستسلما عند التكبير، وحين تضع يمينك على يسارك في قيامك خاضعا له سبحانه، واطمئن في صلاتك، ولا تعبث بكثرة الحركات والأفعال، ولا تفتح مجالا للخطرات والوساوس، فإن هذا اختلاس يختلسه الشيطان من صلاتك.

ويعينك على ذلك: استحضار ثواب الخاشعين في صلواتهم قال صلى الله عليه وسلم: " «مَنْ توضَّأ نَحْوَ وُضُوئي هذا، ثُمَّ صَلَّى رَكعتَيْنِ لا يُحدِّثُ فيهِما نَفْسَهُ، غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِه» (أخرجه البخاري في صحيحه حديث١٥٩، ومسلم في صحيحه حديث٢٢٦ من حديث عثمان رضي الله عنه في صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا: «ما مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فيُحْسِنُ وُضُوءَها وخُشُوعَها ورُكُوعَها، إلَّا كانَتْ كَفَّارَةً لِما قَبْلَها مِنَ الذُّنُوبِ ما لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وذلكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» (أخرجه مسلم في صحيحه(٢٢٨)).

واعلم أن من أعظم ما يدعوك إلى الخشوع ويعينك عليه مراقبة الله فإن الخشوع يفارق القلب-كما قال ابن القيم في مدارج السالكين (٥١٩/١)- "إذا غفل عن اطلاع الله عليه، ونظره إليه"، وقال الغزالي في الإحياء (١٧١/١)": موجب الخشوع معرفته اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع".

وبعد هذا عليك أن تعلم أنَّ الخشوع صفة للمؤمنين في صلواتهم، وفي غير صلواتهم.

وقد أثني الله على الخاشعين والخاشعات دون تخصيص بالصلاة فقال تعالى: «إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (سورة الأحزاب:٣٥).

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (سورة الأنبياء:٩٠).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (سورة الحديد:١٦).

قال ابن مسعود رضي الله عنه كما في مسلم (٣٠٢٧): " مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (الحديد: ١٦) إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ ".

وهذا الخشوع عامٌ عند سماع القرآن أو تلاوته سواء أكان في الصلاة أم خارجها.

وانظر كيف أن الله عز وجل قابل في هذه الآية الكريمة بين الخشوع، وقسوة القلب لتعلم أن الخشوع لين القلب وخضوعه، وتأمل أيضا كيف أن قسوة القلب كانت ثمرة لطول الأمل؛ لتعلم أن تذكر الموت والآخرة سبيل إلى الخشوع، ويشهد له ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق متعددة-وحسنه جماعة كابن حجر والألباني- في وصيته للمصلي أن يذكر الموت في صلاته أو أن يصلي صلاة مودِّع.

وهذا الخشوع له أثره في قبول الحق والانقياد له، ولذا ذم الله هؤلاء الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى الذين لم يخشعوا ولم يخضعوا للحق، ونهانا عن مشابهتهم.

قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٢٠ط دار طيبة): " نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلّدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد ".

وقد أثنى الله على فريق من الذين أوتوا الكتاب لخشوعهم عند سماع ما أنزل الله من الوحي وانقيادهم له فقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (سورة الإسراء:١٠٧-١٠٩) فالقرآن يزيدهم خشوعا وتواضعا واستسلاما وانقيادا.

وقال سبحانه عنهم أيضا: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (سورة آل عمران:١٩٩).

فهؤلاء لخشوعهم لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا، ولا يبيعون دينهم من أجل دنياهم، ولا يكتمون ما أنزل الله ولا يلبسون الحق بالباطل.

هذا عن خشوع المؤمنين في الدنيا أما إذا انتقلنا إلى الخشوع في الآخرة فهناك خشوع عام للخلق دلّ عليه قوله جلّ ذكره: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (سورة طه:١٠٨).

والمعنى كما قال الطبري في تفسيره (١٦/ ١٦٧): " وسَكَنَتْ أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها إنهم خُضَّعُ جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطقا إلا من أذن له الرحمن ".

وهذا في عرصات القيامة ثم تكون الشفاعة وما يتبعها من أمور عظيمة، ومشاهد جليلة.

وهناك خشوع خاصٌّ بالكافرين والظالمين جاء ذكره في القرآن الكريم في مواضع.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ » (سورة الشورى:٤٥).

فهذا حال الظالمين الكافرين حين يعرضون على نار جهنم تراهم خاشعين بسبب ذلهم وفزعهم فهو خشوع ناشئ عن الذل والهوان، وليس خشوعا ناشئا عن تعظيم الله والتقرب إليه. و"النظر من طرف خفي حالة للخاشع الذليل، والمقصود من ذكرها تصوير حالتهم الفظيعة" (ينظر: التحرير والتنوير (١٢٧/٢٥)).

ووصف الله عز وجل خشوع المشركين أيضا عند خروجهم من قبورهم، وحشرهم ونشرهم فقال سبحانه: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ » (سورة القلم:٤٢-٤٣). وقال سبحانه: « فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ » (سورة المعارج:٤٢-٤٤)، وقال تعالى: «هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً » (سورة الغاشية:١-٤).

وهذا الخشوع من المشركين خشوع ذلة، وضراعة، ومهانة، وليس خشوع تعظيم، وتقوى وتوقير وإجلال للكبير المتعال.

إنه خشوع جُوزوا به بسبب قسوة قلوبهم وتكبرهم في الدنيا، وإعراضهم عن دين الله تعالى.

وخشوع المؤمنين في الدنيا يختلف عن هذا الخشوع فخشوع المؤمن خشوع محبة وتعظيم وخوف وإجلال لذي العزة والجلال، حقا إنه خشوع يجد فيه العبد راحته وسعادته فيرى الثقيل خفيفا، والشاق لذيذا وصدق الله إذ قال: «وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ » (سورة البقرة:٤٥)، ولذا كانت الصلاة قرة عيون الخاشعين، وإمامهم في ذلك الرسول الأمين إذ قال: "وجُعلت قرة عيني في الصلاة" (أخرجه النسائي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه).

وأما خشوع الكفار والمشركين فهو خشوع ذل وعذاب وخسران، وألم وتعب، وخوف وحزن.

وقد رأيت فيما سبق من آيات قرآنية أن الله وصفهم بهذا الخشوع فقال: " خاشعينَ من الذُّل» كما وصف أبصارهم، ووجوههم بهذا الخشوع؛ فهم خاشعون أذلاء في قلوبهم كما أن الخشوع بادٍ على ووجوههم وأبصارهم، وأين هذا ممن هم آمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

جعلنا الله وإياكم من المؤمنين الخاشعين المفلحين، ووقانا عذاب الخاسرين.

تهنئة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص التهنئة والتقدير **للأستاذ ربيع محمود**، بقسم الإخراج الفني بالمجلة؛ وذلك بمناسبة تخرُّج ابنه: سيف الرحمن ربيع محمود، والحصول على درجة البكالوريوس في طب وجراحة الفم والأسنان، جامعة الأزهر، دفعة ٢٠٢٤م.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتمنى له مزيدًا من التقدم، والله ولي التوفيق.

الحلقة

السيد البدوي
ودولة الدراويش في مصر

نظرات في كتاب:

السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر للكاتب الصحفي: محمد فهمي عبد اللطيف

إعداد د. محمد عبد العزيز
رئيس فرع العاشر

«ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ» (سبأ: ١)، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، ومن تبعه إلى يوم الدين.

وبعد: فهذا هو المقال الثاني تحت هذا العنوان: نظرات في كتاب: السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر، وقد سبق في المقال الأول التعريف بالكاتب الأستاذ: محمد فهمي عبد اللطيف، وبيان أهمية الكتاب حين صدوره، وبيان شيئ عن منهج المصنف، وبيان أن الكتاب يقع في أربع وثمانين ومائة صفحة (١٨٤ صفحة) غير مسرد المصادر والمراجع والفهارس، ويتألف الكتاب من مقدمة، وتمهيد، وثمانية فصول، وخاتمة.

وأن فصول الكتاب هي:

المقدمة، والتمهيد: وقد ساق في التمهيد واقعة حكاها الجبرتي تُبيِّن أثر الخرافة في حياة الناس.

الفصل الأول: العلويون واستغلالهم للتصوُّف في طلب الحكم.

الفصل الثاني: حياة السيد وسيرته.

الفصل الثالث: تعليقات وتفسيرات.

الفصل الرابع: شخصية السيد.

الفصل الخامس: أتباع السيد ومريدوه.

الفصل السادس: موالد السيد ومواكبه.

الفصل السابع: نتائج وآثار.

الفصل الثامن: إصلاح واجب.

وقد ألقينا نظرات على مقدمة الكتاب

والتمهيد. ونستكمل في هذا المقال النظرات في الفصول الأربعة الأولى من الكتاب.

نظرات وتعليقات على الفصل الأول: العلويون واستغلالهم للتصوف في طلب الحكم.

أرَّخ المؤلف للدولة العلوية الفاطمية، وذكر أسباب ظهورها، وخلاصة ذلك:

أن الدولة العبيدية الإسماعيلية التي انتسبت -زورًا- لآل البيت أقامت حكمها في مدينة رقادة في إفريقية "تونس" سنة: ٢٩٧هـ، وأعلن عبيد الله المهدي أول خليفة لهم في ربيع الآخر ٢٩٧هـ. وقد سهّل قيام الدولة العبيدية في المغرب وجود دولة الأدارسة العلويين في المغرب الأقصى قبلهم، ووجود تسع إمارات شيعية صغيرة في الجزائر من قبل مجيء الإسماعيليين.

وقد انتقلت الخلافة العبيدية إلى مصر سنة: ٣٦٢هـ -نتيجة للثورات عليهم في المغرب العربي-، وامتد سلطانها إلى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي، مثل: الشام، والجزيرة العربية، وقد بدأ حكمهم في مصر بالمعز لدين الله معاذ بن المنصور العبيدي، وانتهى بالعاضد عبد الله بن يوسف سنة: ٥٦٧هـ، وهو الخليفة الفاطمي الرابع عشر وآخر الخلفاء الفاطميين العبيدين، وانتهت بموته الخلافة الفاطمية العبيدية في مصر، والتي استمرت حوالي ٢٠٠ سنة، وعادت مصر بعدها للخلافة العباسية، وتولى السلطنة فيها صلاح الدين الأيوبي.

ويرى المؤلف وكثير من الباحثين أن العبيدين استغلوا الصوفية لإعادة نشر مذهبهم لتقبُّلها السهل واليسير للخرافة. ولحبّ الصوفية الشديد لآل البيت، ولذا اهتموا بها ودعموا وجودها واخترقوها بكثير من دعاتهم.

وأرى أنه من المناسب هنا ذكر بعض عقائد العبيديين لتُعرَف:

- من عقائد العبيديين ادعاء الإلهية في حُكّامهم وأول مَن ادّعى ذلك: الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بن المعز. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥/١٥٥)، و(١٥/١٧٦).

وقد دخل محمد بن هانئ الشاعر الأندلسي على المُعز الفاطمي قائلاً:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنتَ النبيُّ محمدٌ
وكأنّما أنصارك الأنصارُ
أنت الذي كانتْ تبشرنا به
في كُتْبها الأحبارُ والأخبارُ

وقد ذكر بعض ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (١٥/٣٤٠).

- ومن عقائدهم ادعاء علم الغيب، قال ابن خَلّكان في وفيات الأعيان (٥/٣٧٣، ٣٧٤): «وذلك لأنهم ادّعوا علم المغيّبات، ولهم في ذلك أخبار مشهورة».

- ومن عقائدهم أنهم كانوا يأمرون الناس بالسجود لهم تعظيمًا، فمن ذلك ما ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام في أحداث سنة: ٣٩٦هـ قال: «وحج بالناس محمد بن محمد بن عمر العلوي، وخطب بالحرمين للحاكم صاحب مصر على القاعدة، وأمر الناس بالحرمين بالقيام عند ذكره، وفعل مثل ذلك بمصر، وكان إذا ذكر قاموا وسجدوا في السوق، وفي مواضع الاجتماع، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد كان هؤلاء العبيديون شرًا على الإسلام وأهله من

التتر».

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١١/٣٨٦): «كان إذا ذكر الخطيب الحاكم يقوم الناس كلهم إجلالاً له، وكذلك فعلوا بديار مصر مع زيادة السجود له، وكانوا يسجدون عند ذكره، يسجد من هو في الصلاة ومن هو في الأسواق يسجدون لسجودهم؛ لعنه الله وقبحه».

- ومن عقائدهم سبّ الصحابة، والوقيعة فيهم، وقد قتلوا عددًا كبيرًا من العلماء؛ لعدم موافقتهم على ذلك، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/١٤٥): «قال أبو الحسن القابسي- صاحب الملخص-: إن الذين قتلهم عبيد الله، وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت».

ولذا قال القاضي عياض في ترتيب المدارك (٤/٧٢٠): «قال أبو يوسف الرعيني: أجمع العلماء بالقيروان: أن حال بني عُبيد حال المرتدين والزنادقة».

نظرات وتعليقات على الفصل الثاني: حياة السيد وسيرته، والفصل الثالث: تعليقات وتفسيرات:

حاول المؤلف في الفصل الثاني الترجمة لأحمد البدوي بعيدًا عن كثير من الخرافات والشطحات التي ترجم بها الصوفية له، لكني أريد أن أنقل لك بعض ما قال مترجموه عنه ناقلاً ذلك من كتبهم فهو أحرى بالدقة، قال السيوطي في حسن المحاضرة (١/٥٢٢): «سيدي أحمد البدوي، هو أبو الفتيان أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القدسي الأصل الملثم. وُلد سنة ست وتسعين وخمسمائة، وأقام بمكة مع أبيه وأهله إلى أن مات أبوه سنة سبع وعشرين، وعُرف بالبدوي لملازمته اللثام.

ولبس لثامين لا يفارقهما، وعرض على التزويج فأبى، لإقباله على العبادة، وكان حفظ القرآن، وقرأ شيئًا من الفقه على مذهب الشافعي، واشتهر بالعطاب لكثرة ما يقع بمن يؤذيه من الناس، ثم لازم الصمت حتى كان لا يتكلم إلا بالإشارة، واعتزل الناس جملةً، وظهر عليه الوله، فلما كان في المحرم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ذكر أنه رأى في النوم من بشّره بأنه ستكون له حالة حسنة، ثم إن أخاه حسن بن علي دخل العراق، وهو صحبته.

ولازم أحمد الصيام، وأدمن عليه حتى كان يطوي أربعين يومًا لا يتناول طعامًا ولا شرابًا، ولا ينام وهو في أكثر حاله، شاخص البصر إلى السماء وعيناه كالجمرتين، ثم صار إلى مصر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، فأقام بطندتا من الغربية على سطح دار لا يفارقه، وإذا عرض له الحال يصيح صياحًا متصلاً».

وذكر السيوطي من صفاته:

- أنه كان سيئ المزاج حتى سمي بالعطاب.
- وأنه لم يتزوج.
- وأنه اعتزل الناس وأقام على السطوح.
- أنه كان يتلثم بلثامين فلم يُعرف وجهه فهو مجهول.
- وأنه كان يترك الطعام والشراب أربعين يومًا وصالاً.
- وأنه كان يصيبه الهوس في بعض أحواله فيصرخ.

وقد ذكر المناوي (المتوفى سنة: ١٠٣١ هـ) في كتابه: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (٢/٣٨٨) أنه: «كان إذا لبس ثوبًا أو عمامة لا يخلعها لغسل ولا غيره حتى تبلى فتبدّل؟!

وكان لا يكشف اللّثام عن وجهه، فقال له عبد المجيد: أرني وجهك. قال: كل نظرة برجل. قال: أرنيه ولو متّ. فكشفه فمات حالاً».

فذكر المناوي أن كان لا يغتسل، ولا يطهر ثيابه بل يظل في وسخه حتى تبلى الثياب فيبدلها.

وقال المقريزي في كتابه: درر العقود (٣/٧٧): «أخبرنا شيخنا المقرئ النحوي شمس الدين محمد بن محمد الغماري رحمه الله، قال: أخبرنا شيخنا العلامة أثير الدين أبو حيّان النفزي رحمه الله، قال: ألزمني الأمير ناصر الدّين محمّد بن جنكل ابن البابا بالمسير معه بالزيارة للشيخ المعتقد أحمد البدوي بناحية طنتدى، فوافيناه يوم الجمعة فإذا به رجل طوال عليه ثوب جوخ عال وعمامة صوف رفيع، والنّاس تأتيه أفواجًا، فمنهم من يقول: يا سيّدي خاطرك مع غنمي، ومنهم من يقول: خاطرك مع بقري، ومنهم من يقول: زرعي. إلى أن حان وقت صلاة الجمعة، فنزلنا معه إلى الجامع بطنتدى وجلسنا في انتظار الصلاة، فلمّا فرغ الخطيب من خطبة الجمعة وأقيمت الصّلاة وقمنا لأداء الصلاة، وضع الشّيخ أحمد البدوي رأسه في طوقه بعدما قام قائمًا وكشف عن عورته بحضرة النّاس وبال على ثيابه وعلى حصر المسجد واستمرّ ورأسه في طوق ثوبه وهو جالس حتى انقضت الصّلاة ولم يصلّ».

فذكر المناوي أنه كان يُستغاث به ويُطلب منه رفع الضر عن الغنم والبقر والزرع، فيعطونه صفات الربوبية دون نكير.

وأنه كان لا يصلي الخمس ولا الجمعة. وأنه كان يظهر عورته أمام الناس بلا حياء. وأنه كان يتعمد تنجيس المسجد ونفسه.

والعجب أن هؤلاء جميعًا ما ذكروا ذلك في باب التنقيص منه ولا الحطّ عليه، ولم يكتب هذا عنه حانق أو مخالف.

فمثل هذا أحسن أحواله أن يكون مرفوع عنه القلم والمجنون لا يكون وليًا لله تعالى.

ومع ذلك فقد ذكر المؤلف أنه كان يصطفي من الشيوخ أربعين ويدخلون عليه وحدانًا ثم يرسلهم بدعوته إلى الآفاق، وهؤلاء هم الذين سموا: السطوحية الذين كانوا يقيمون المواكب والموالد باسم البدوي أو الملثم أو الأحمدي، وهؤلاء أقيمت لهم عشرات المقامات والأضرحة في مصر سمّيت باسم أحمد البدوي.

وقد ذكر المؤلف مهمات في هذا الفصل يبين بها أن هذا الرجل كان يريد أن يُمهّد للدولة العبيدية للعودة بعد سقوطها، لكنه لم يستطع أن يفعل ذلك وقد سبقه إلى هذا أحمد أمين في كتاب فجر الإسلام.

وتحدث المؤلف في الفصل الثالث على بعض المفردات التي ذكرها في الفصل الثاني من أثر الرؤيا في سرد ترجمة البدوي، ومن اتخاذه للثامين، والبشت الصوف، والعلم الأحمر، وتكلم عن الحجر الذي يُعظّمه الصوفية في مسجد البدوي تعظيم الحجر الأسود، ثم عن بعض الخرافات التي نُسبت والقصص التي نُسجت حوله مثل قصته مع فاطمة بنت بري،

وخضرة الشريفة، وتحريره للأسرى من يد الصليبيين وهو في بيته... وهذه القصص كلها يسوقها الشعراني في طبقاته. وكما لهذا الرجل في هذا الكتاب من لوثات فكرية هي أكبر من ذلك!

نظرات وتعليقات على الفصل الرابع: شخصية السيد:

في هذا الفصل تعرَّض المؤلف لشخصية البدوي بشيء من الإسهاب، والذي يهمني منها أربعة محاور:

الأول: شدة تأثيره على أتباعه وطاعتهم الشديدة له وخضوعهم لسلطانه، وقد ساعد في توطيد هذا الأمر التربية والمنحى الصوفي الذي يجعل المريد بين يدي سيده كالميت بين يدي مغسله، والذي يجعل المريد يغض الطرف عن كثير من المنكرات التي تخرج عن سلطان الشرع، وقاعدتهم في ذلك: "من اعترض انطرد".

الثاني: شخصيته العلمية، فهو ضئيل العلم لم يترك سوى حزب وصلوات وبعض الوصايا التي لا تخرج في مجملها عن علم العوام.

الثالث: منزلته عند الصوفية فهو أحد الأقطاب الأربعة، وهم: أحمد الرفاعي من الشام، وعبد القادر الجيلاني من العراق، وأحمد البدوي من المغرب، وابراهيم الدسوقي من مصر.

وقد وصفوا البدوي بأنه: سيد أهل الفتوة، والمورد العذب من مناهل سر النبوة.

والقطب أو الغوث عند الصوفية: هو أعلى مرتبة يصل إليها الصوفي، والقطب عندهم: من ملك الطلسم الذي يشرح الكون.

ومن خصائص القطب أنه اكتشف الذات الإلهية، وله علم بصفات الله، ولا حدود لعلمه، وهو أكمل المسلمين، ولا حدود لمرتبته، ويمكنه الانتقال حيث شاء في طرف البصر فهو صاحب خطوة، ومن وظائفه التصرف والتأثير في الكون ووقاية المريد.(ينظر: التعريفات، للجرجاني: ص١٧٧).

وقال المناوي في التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٥٨): «الأقطاب هم الجامعون للأحوال، والمقامات، وقد يتوسع فيسمى كل من دار عليه مقام من المقامات، وانفرد به في زمانه، قطبًا، لكن حيث أُطلق القطب لا يكون في الزمان إلا واحدًا وهو الغوث، وهو سيد أهل زمنه وامامهم، وقد يحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الباطنة».

فهذه منزلة هذا الرجل أحمد البدوي عندهم، وانما قالوا ذلك وأنزلوه تلك المنزلة بلا مقياس شرعي، ولا تحكيم عقلي، وانما هي أعراف الصوفية وأهل الخرافة.

على أن هذه الأسماء والمراتب التي يعطونها لبعض مشايخهم مبتدعة لو سلمت من المحظورات الشرعية، فكيف بهم وقد جعلوا للأقطاب وظائف لا تكون إلا للرب سبحانه، فيجعلون من وظائفه التصرف، والتأثير في الكون، ووقاية المريد.

الرابع: تلك الشخصية المصنوعة التي صنعها الدراويش من ادعاء الكرامات والخوارق، وأن مَن أنكر عليه خروجه عن الشرع حدث له كذا وكذا... إلخ.

هذا آخر ما يسَّر الله تعالى من تلك النظرات، وهي غير مغنية عن قراءة الكتاب.

والحمد لله رب العالمين.

قصص الأوحال في أحاديث الأبدال

إعداد **الشيخ/ علي حشيش**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والطرقية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- في مثل هذا الشهر: شهر رجب ١٤٠٦هـ أي منذ أربعين عامًا قد منَّ الله علينا، وذلك بنشر أول بحث من البحوث العلمية الحديثية، وذلك بمجلة «التوحيد» الغراء «حفظها الله تعالى» بعد أن أعرضت المجلات والجرائد يومئذ عن نشره؛ لأن البحث كان يومئذ ردًا على ما نشرته جريدة «اللواء الإسلامي» في عددها (٢١٠) في الصفحة (٢٢) يوم الخميس ١٩ من جمادى الأولى ١٤٠٦هـ، للأستاذ محمد إسماعيل تحت عنوان: «كاتب يساري يفتري كذبًا على الشيخ الشعراوي» ما نصه: (والشيخ الشعراوي- كما قال لي أحد العلماء العارفين-: رجل من الأبدال الذين تنبأ بهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في حديث صحيح قال صلى الله عليه وسلم: «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً»).

فقمت يومئذ بإعداد الرد على هذا الحديث المنكر المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من ثمانين سطرًا دفاعًا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا علاقة لي بالأشخاص، وهذا مقصدي في كل أبحاثي من هذا التاريخ إلى اليوم، وهذا منهج أهل الحديث عملاً بالحديث الذي أخرجه الشيخان من حديث أنس، والبخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

فأهل الحديث كانوا من الورع وعدم المحاباة على جانب عظيم؛ فهذا هو الإمام الحافظ علي بن المديني، قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٧٦/٤) (٩٩٧/٣٠) حدَّث عن أبيه ثم قال: «وفي حديث الشيخ ما فيه»، وأشار إلى تضعيفه غير مرة، وسئل عن أبيه فقال: «سلوا غيري، فما عادوا فأطرق ثم رفع رأسه فقال: هو الدين، أبي ضعيف». كذا في «التهذيب» (١٥٣/٥) للحافظ ابن حجر.

وهذا هو الإمام أبو داود السجستاني: حيث أخرج الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢٦٥/٤)

(١١٠١/١٣٤) عن ابن الجنيد قال: سمعت أبا داود السجستاني يقول: «ابني عبد الله كذاب». اهـ.

وأخرجه الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٣٠/٢/٤) عن عبيد الله بن عمر وقال: قال لي زيد بن أبي أنيسة: «لا تحدث عن أخي يحيى بن أبي أنيسة؛ فإنه كذاب». اهـ.

قلت: فهؤلاء الأئمة الكرام: النبي صلى الله عليه وسلم أحب إلى الواحد منهم من أبيه وبنيه، وأخيه، فلا محاباة لأحد ولو كان من أقرب الأقربين.

وأخذت أبحث عن أحد من أهل السنة عنده من الورع وعدم المحاباة ما يشد الله به أزري، وأنشر به بحثي، دفاعًا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فدلني من كان في صحبتي من أهل الحديث يرحمهم الله على فضيلة الشيخ الإمام محمد علي عبد الرحيم (١٣٢٢هـ-١٤١٢هـ) رحمه الله، الرئيس العام آنذاك لجماعة أنصار السنة المحمدية، وكان يومئذ في الرابعة والثمانين من عمره فوجدته في شيبته حريصًا على دعوته، قد أعطاه الله قوة قلبية في علو همته، فاستقبلني استقبال الوالد لولده، وأنا يومئذ في الأربعين من عمري ولم يكتف يومها بنشر بحثي دفاعًا عن السنة بل فتح لي بابًا في مجلة التوحيد «حفظها الله» المسمى بباب «دفاع عن السنة المطهرة».

ولقد أتت سلسلة الدفاع عن السنة ثمارها بفضل الله وحده ثم بجهود القائمين على مجلة «التوحيد» حفظهم الله حتى وصل عدد الأبحاث في الأربعين عامًا إلى (٥٦٧) بحثًا التي نشرتها المجلة في أبواب: «باب الدفاع عن السنة المطهرة»، «باب أسئلة القراء عن الأحاديث»، «باب تحذير الداعية من القصص الواهية»، «باب درر البحار في صحيح الأحاديث القصار» بلغ عدد الأحاديث (٢٨٥٠) حديثًا مرتبة على درجات الصحة وهي سبع درجات وبدأ نشرها في المحرم (١٤٢٥هـ) إلى شعبان (١٤٣٣هـ) وتم بحمد الله نفعها ويسر الله بها حفظ الأحاديث لجميع المراحل.

باب «درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار» أبحاث علمية لتحقيق مخطوطة السيوطي.

وذكري لهذه الأيام بعد أربعين عامًا تذكيرٌ بنعم الله علينا وعلى الناس لنكون شاكرين لأنعمه كما في قوله تعالى: «وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» (إبراهيم: ٥).

قلت: أخرج الإمام ابن جرير الطبري ثلاثة عشر خبرًا في تفسير «وذكِّرهم بأيَّام الله» قال: بنعم الله، وقوله تعالى: «إنَّ في ذلك لآيات لكل صبَّار شكور» ولفظ «كل» من ألفاظ العموم تعمم ولا تخصص، وما أراني إلا وقد قرب رحيلي إلى ديار الآخرة، فاللهم اجعل خير عمري آخره ولله الحمد والمنة، أن جعلني جنديًا أحمل درع الدفاع عن السنة وحفظه الله بعزته وقدرته فتحطمت عليه سهام المبتدعين الضالين، والكذابين المضلين.

ثانيا: قاعدة كلية في أحاديث الأبدال:

١- قال الإمام ابن القيم في كتابه «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» فصل (٤١) ح (٣٠٧): «أحاديث الأبدال، والأقطاب، والأغواث، والنقباء، والنجباء، والأوتاد كلها باطلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم».

قلت: هذه القاعدة الكلية يحسبها من لا دراية له بالصناعة الحديثية أنها أمر هين، ولكنه أمر عظيم عند إمام جليل كالإمام ابن القيم وهو مشهور الدليل والبرهان؛ فهو لا يأتي بهذه القاعدة العلمية الحديثية الكلية إلا بعد استقراء كل أحاديثها والبحث في عللها، ثم يستنتج هذه القاعدة المبنية على الدليل، وهذا هو منهج الإمام ابن القيم حيث قال في كتابه «إعلام الموقعين» (٦/١): «قال أبو عمر، وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله». اهـ.

٢- هذه القاعدة أقرها الإمام الحافظ ابن الديبع الشيباني (٨٦٦- ٩٤٤م)، وهو محدث الديار اليمنية قال في «تمييز الطيب من الخبيث، فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث» ح(٨): «حديث الأبدال له طرق عن أنس وغيره بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة».

٣- وهذه القاعدة أقرها محدث الديار الشامية في هذا العصر الشيخ الألباني -رحمه الله- فبعد بحث دقيق لأحاديث الأبدال قال في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣٣٩/٢): «واعلم أن أحاديث

الأبدال لا يصح منها شيء، وكلها معلولة، وبعضها أشد ضعفًا من بعض». اهـ.

قلت: والصناعة الحديثية تقتضي من الباحث لتطبيق هذه القاعدة إعطاء الحديث أو راويه حقه من النقد للوقوف على حقيقة العلة بما قاله أئمة الجرح والتعديل، وهذا ما اتبعته -بفضل الله وحده- منذ أربعين عامًا في أول دفاع عن السنة في مثل هذا الشهر شهر رجب ١٤٠٦هـ؛ حيث استدلوا كما بينت آنفًا بحديث عبادة بن الصامت في الأبدال على أن الشيخ الشعراوي رجل من الأبدال الذين تنبأ بهم النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول الكاتب: إنه حديث صحيح. ولقد بينت أنه حديث منكر، بأقوال ثلاثة عشر عالمًا من أئمة الجرح والتعديل وبينت من أقوالهم أن الحديث لا يصح بالسقط في الإسناد، والطعن الشديد في راويين.

ثالثا: قصة من الأوحال في أحاديث الأبدال:

١- «الطلاق والأبدال» وسبب التسمية بالأبدال:

قال الشيخ السيوطي في كتابه «الحاوي للفتاوي» (١/ ٢٥٤)، ط: دار الفكر بيروت: «رُفِعَ إلي سؤال: في رجل حلف بالطلاق أن ولي الله الشيخ عبدالقادر الطشطوطي بات عنده ليلة كذا، فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده في تلك الليلة بعينها، فهل يقع الطلاق على أحدهما أم لا؟».

قال الشيخ السيوطي فأرسلت قاصدي إلى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك، فقال: «ولو قال أربعة أني بت عندهم لصدقوا».

قال الشيخ السيوطي: «فأفتيت بأنه لا يحنث واحدٌ منهما».

ثم يقول السيوطي: وها أنا أذكر بعض كلام الأئمة في ذلك قال العلامة علاء الدين القونوي في تأليف له يسمى الإعلام ما نصه: (وفي المكن أن يخص الله تعالى بعض عباده في حال الحياة بخاصية لنفسه الملكية القدسية، وقوة لها يقدر بها على التصرف في بدن آخر غير بدنها المعهود مع استمرار تصرفها في الأول).

قلت: وعلى هذا بين العلامة القونوي سبب تسمية الأبدال أبدالاً فقال:

«إنما سموا الأبدال أبدالاً لأنهم قد يرحلون إلى مكان، ويقيمون في مكانهم الأول شبحًا آخر شبيهًا بشبحهم الأصلي بدلا عنه».

ثم قال: وإذا جاز في الجن أن يتشكلوا في صور مختلفة، فالأنبياء والملائكة والأولياء أولى بذلك، وقد أثبت الصوفية عالمًا متوسطا بين عالم الأجساد وعالم الأرواح سموه عالم المثال، وقالوا: هو عالم ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح، وبنوا على ذلك تجسيد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال، وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى: «فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا» (مريم: ١٧).

ثم قال: وما ذكره الصوفية في الأبدال أحسن، وهو أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغير، وقد أقام الله له شبحًا آخر وروحه تتصرف فيهما جميعًا في وقت واحد. اهـ.

٢- خطبة الجمعة والأبدال:

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٤) مقارنة بعدة طبعات: «ومن الأولياء الذي يقتدى بهم في طريق الله عز وجل: الشيخ محمد الحضري المدفون بناحية نهيا بالغربية، وضريحه يلوح من البعد من كذا وكذا بلدًا، كان من أصحاب جدي رضي الله عنهما، وكان يتكلم من دقائق العلوم والمعارف... وكان يرى في كذا بلد في وقت واحد (يعني أنه من الأبدال)- ثم يقول الشيخ الشعراني أخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي أنه- أي الحضري- جاءهم يوم الجمعة فسألوه الخطبة فقال بسم الله فطلع المنبر فحمد الله وأثنى عليه ومجده، ثم قال: وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام، فقال الناس كفر فسل السيف ونزل فهرب الناس كلهم من الجامع فجلس عند المنبر إلى أذان العصر، وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع، ثم جاء بعض أهل البلاد المجاورة فأخبر أهل كل بلد أنه خطب عندهم وصلى بهم قال: فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة هذا ونحن نراه جالسًا عندنا في بلدنا». اهـ.

هؤلاء هم الأبدال وعالم المثال، وعالم الأشباح وأحاديثهم الباطلة والتي سنبين عارها ونكشف عوارها على مر العقود؛ إن شاء الله تعالى.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد الشيخ/ علي حشيش

«من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة، بنى الله له بيتًا في الجنة».

الحديث: لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٧٠) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «ه عن عائشة». اهـ.

قلت: «ه» ترمز لابن ماجه في «السنن».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث «موضوع».

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على معرفة هذا المصطلح؛ فقد قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شرّ الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

وسنطبق: هذا المصطلح على هذا الحديث من خلال التخريج والتحقيق؛ حتى يجد طالب العلم أيضًا دراسة «لعلم الحديث التطبيقي».

أولا: التخريج:

الحديث أخرجه الحافظ ابن ماجه في «السنن» (١/٤٣٧) ح(١٣٧٣) قال: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا يعقوب بن الوليد المديني، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى بين المغرب والعشاء...» الحديث.

ثانيا: التحقيق:

هذا الحديث لا يصح وعلته: يعقوب بن الوليد المديني.

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢١٦/٢/٤): «يعقوب بن الوليد المديني سكن بغداد روى عن هشام بن عروة وآخرين، وروى عنه أحمد بن منيع وآخرون سمعت أبي يقول ذلك، وأخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إليّ قال: سمعت أبي يقول: يعقوب بن الوليد من أهل المدينة كان من الكذابين الكبار، وكان يضع الحديث، وقال الإمام ابن أبي حاتم سألت أبي عن يعقوب فقال: منكر الحديث، ضعيف الحديث، كان يكذب، والحديث الذي رواه موضوع وهو متروك»، وقال ابن أبي حاتم أيضًا: «سئل أبو زرعة عن يعقوب بن الوليد فقال: ليس بشيء، تُرك حديثه». اهـ.

٢- وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٣٨/٣): «يعقوب بن الوليد المديني كان ممن يضع الحديث على الثقات، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

٣- وقال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٤٧/٧) (٢٠٥٧/٤): «حدثنا ابن حماد، حدثني عبد الله- يعني ابن أحمد بن حنبل- قال: سمعت أبي يقول: «يعقوب بن الوليد كتبنا عنه وخرقنا حديثه منذ دهر، وكان من الكذابين الكبار يضع الحديث»، ثم برهن ابن عدي على أنه كان يسرق الحديث.

٤-قلت: ولقد فسر الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٨٢٩/٤٥٥/٤) معنى مصطلح «خرقنا حديثه» أي «مزقنا حديثه»؛ حيث نقل أقوال أئمة الجرح والتعديل في يعقوب بن الوليد وأقرها؛ فقال: «قال أحمد مزَّقنا حديثه، وكذَّبه أبو حاتم ويحيى، وقال أبو داود وغيره: غير ثقة»، وقال أحمد أيضًا: «من الكذابين الكبار، يضع الحديث». اهـ.

٥- الاستنتاج: نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن الراوي يعقوب بن الوليد كذاب من الكذابين الكبار يضع الحديث؛ إذن فالحديث «موضوع».

الألفاظ الموهمة في باب الصفات..
بين الإجمال والاستفصال (٧)

ابن الموصلي والسفاريني يُجمـلان ما استقر عليه أهل السنة وسلف الأمة في: إثبات صفات الله ونفي الجسمية عنها، خلافًا للجهمية والمعتزلة والمتكلمة في نفيهما معًا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

ففي إجمال ما سبق ذكره - بشأن التنفير والنهي عن: إطلاق اللفظ الموهم بحق الله تعالى، ووجوب إقرار المعنى الصحيح له بقصد ردّ عادية أهل الزيغ الذاهبين بإطلاقاتهم الألفاظ الموهمة: إلى: نفي صفات الله وتعطيلها- يقول محمد بن الموصلي في مختصر الصواعق المرسلة ص١٣٢ في كلام له من الأهمية ما له:

"اعلم أن لفظ (الجسم) لم ينطق به الوحي إثباتًا فيكون له الإثبات، ولا نفيًا فيكون له النفي، فمن أطلقه نفيًا أو إثباتًا؛ سُئل عما أراد به؟، فإن قال: (أردتُ بالجسم معناه في لغة العرب؛ وهو: البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسمٌ سواه؛ إذ لا يقال للهواء: جسم لغة؛ ولا للنار، ولا للماء)، فهذا المعنى منفي عن الله عقلاً وسمعًا. وإن أردتم به: المركب من المادة والصورة والمركب من الجواهر المفردة، فهذا منفي عن الله قطعًا. وإن أردتم بالجسم: ما يُوصف بالصفات ويُرى بالأبصار ويَتكلم ويُكلِّم ويَسمع ويُبصر ويَرضى ويَغضب، فهذه المعاني ثابتة لله تعالى، وهو موصوف بها، فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها: (جسمًا)، كما أنا لا نُسَبُّ الصحابة لأجل تسمية (الروافض) لمن يحب الصحابة ويواليهم: (نواصب)، ولا ننفي قَدَر الرَّبَ ونَكذَب به لأجل تسمية (القدرية) لمن أثبته: (جبريًا)، ولا نرُدُّ ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته لتسمية أعداء الحديث لنا: (حشوية)، ولا نجحد صفات خالقنا وعلوَّه على خلقه واستواءَه على عرشه لتسمية المعطلة لمن أثبت ذلك: (مجسِّمًا مشبِّهًا).

أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

ورحمة الله على الشافعي في قوله حين نَسَبتْه الخوارج إلى الرفض حسدًا وبغيًا:

يا راكبًا قف بالمُحصب من منى
واهتف بقاعد خيفها والناهض
إن كان رفضًا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافضي

و(المُحَصب): موضع بين مكة ومنى ويسمى: (الأبطح). والبيت الأخير كأنه مأخوذ من قول

الشاعر الأول:

وعيَّرني الواشون أنِّي أحبُّها
وذلك ذنب لست منه أتوبُ

وإن أردتم بالجسم: ما يشار إليه إشارة حسية؛ فقد أشار أعرف الخلق به بأصبعه رافعًا بها إلى السماء بمشهد الجمع الأعظم مستشهدًا له، لا للقبلة. وإن أردتم بالجسم: ما يقال: أين هو؟؛ فقد سُئل أعلم الخلق به: بـ(أين؟) وذلك في حديث أبي رزين العقيلي(وهو ضعيف). فأجاب عليه السلام منبِّهًا على علوه على عرشه، وأخبره أنه في العلو فوق سماواته على عرشه وفوق جميع خلقه وليس في الأرض ولا داخل السماوات. كما سأل صلى الله عليه وسلم على ما جاء في حديث الجارية بـ(أين؟) وأقرَّ الجواب عنه، ولم يقل لهذا ولا لهذه: هذا السؤال إنما يكون عن الجسم.

وإن أردتم بالجسم: ما يلحقه (من)، و(إلى)، فقد نَزَل جبريل من عنده وعَرَج برسوله إليه و«إليه يصعد الكلم الطيب»، وعَبْده المسيحُ رُفِع إليه.

وإن أردتم بالجسم: ما يتميز منه أمر غير أمر، فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال جميعًا، من السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة، وهذه صفات متميزة متغايرة ومن قال: إنها صفة واحدة فهو بالمجانين أشبه منه بالعقلاء. وإن أردتم بالجسم: ما يكون فوق غيره ومستويًا على غيره، فهو سبحانه فوق عباده مستوٍ على عرشه.

كذلك إن أردتم من (التشبيه) و(التركيب) هذه المعاني التي دل عليها الوحي والعقل، فنفيُكم لها بهذه الألقاب المنكرة خطأ في (اللفظ) و(المعنى)، وجناية على ألفاظ الوحي.

(أ) الخطأ اللفظي والمعنوي فيما ارتكبه متهمو المثبتة بالتجسيم:

أما (الخطأ اللفظي): فتسميتُكم الموصوف بذلك: (جسمًا مركبًا مؤلفًا مُشْبِهًا بغيره)؛ وتسميتُكم هذه الصفات: (تركيبًا وتجسيمًا وتشبيهًا)، فكذبتم على القرآن وعلى الرسول وعلى اللغة، ووضعتم لصفاته ألفاظًا منكم بدأت وإليكم تعود.

وأما (خطؤكم في المعنى): فـ(نفيكم وتعطيلكم لصفات كماله بواسطة هذه التسمية والألقاب)، فنفيتم المعنى الحق وسميتموه بالاسم المُنْكَر. وكنتم في ذلك بمنزلة من سَمِع أن العسل شفاء ولم يره فسأل عنه، فقيل له: (مائع رقيق أصفر يشبه العذرة، تتقيؤه الزنابير). ومن لم يعرف العسل ينفِر عنه بهذا التعريف، ومن عرفه وذاقه لم يزده هذا التعريف عنده إلا محبة له ورغبة فيه، ولله در القائل:

تقول هذا جناء النحل تمدحه
وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير
مدحًا وذمًا وما جاوزت وصفهما
والحق قد يعتريه سوء تعبير

وأشد ما جادل أعداء الرسول في التنفير عنه سوء التعبير عما جاء به، وضرب الأمثال القبيحة له، والتعبير عن تلك المعاني التي لا أحسن منها: بألفاظ منكرة ألقوها في مسامع المغترين المخدوعين، فوصلت إلى قلوبهم فنفرت عنه، وأكثر العقول كما عهدتَ يقبل القول بعبارة ويرده بعبارة أخرى.

وكذلك إذا قال قائل: لو كان فوق السماوات ربٌّ أو على العرش إلهٌ لكان مركبًا، قيل له: لفظ المركب في اللغة، هو: الذي ركبه غيره في محله، كقوله تعالى: «فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ» (الانفطار: ٨). كما يطلق على: ما يُرَكَّب من أخلاط وأجزاء بحيث كانت أجزاؤه مفرقة فاجتمعت وركبت حتى صار شيئًا واحدًا، كقولهم: (ركَّبت الدواء من كذا وكذا). وعليه فإن أردتم بقولكم: (لو كان فوق العرش كان مركبًا هذا التركيب المعهود؛ أو أنه كان متفرقًا فاجتمع)، فهو كذب وفرية وبهتٌ على الله وعلى الشرع وعلى العقل. وإن أردتم أنه لو كان فوق العرش لكان عاليًا على خلقه؛ بائنًا منهم؛ مستويًا على عرشه؛ ليس فوقه شيء، فهذا المعنى؛ حق. ثم إن التركيب يطلق على: (تركيب الماهية من

الذات والصفات)، فإذا نفيتَ هذا التركيب جعلته ذاتًا مجردة عن كل وصف، لا يبصر ولا يسمع ولا يعلم ولا يقدر ولا يريد ولا حياة له ولا مشيئة ولا صفة أصلًا، وعليه يكون كل ذات في المخلوقات خير من هذه الذات، فاستفدت بهذا التركيب كُفرَك بالله وجحْدكَ لذاته ولصفاته وأفعاله. كما يطلق فيما يطلق على: (التركيب من الجواهر الفردة) كما يقوله كثير من أهل الكلام. وعلى: (تركيب الماهية من أجزاء كانت متفرقة فاجتمعت وتركبت).

فإن أردت بقولك: (لو كان فوق العرش لكان مركبًا) كما يدعيه الفلاسفة والمتكلمون، قيل لك: (جمهور العقلاء عندهم أن الأجساد المحدثة المخلوقة ليست مركبة، لا من هذا ولا من هذا)، فلو كان فوق العرش جسم مخلوق أو مُحدث: لم يلزم أن يكون مركبًا بهذا الاعتبار، فكيف يلزم ذلك في حق خالق الفرد والمركب، الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويؤلف بين الأشياء فيُركبُها كما يشاء؟!؛ والعقل لمَّا دل على إثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له، ولا شبيه له، لم يلد ولم يولد، لم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة، ولا وجه، ولا يدين، ولا هو فوق خلقه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح على العقل كما هو كذب صريح على الوحي.

فانظر ماذا تحت تنزيه المعطلة النفاة بقولهم: (ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب، ولا تحله الحوادث، ولا يقال في حقه: أين، وليس بمتحيز)، كيف كسوا حقائق أسمائه وصفاته وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه وتكليمه لخلقه ورؤيتهم له بالأبصار في دار كرامته، هذه الألفاظ، ثم توسلوا إلى نفيها بواسطتها، وكفَروا وضلَّلوا من أثبتها، واستحلُّوا منه ما لم يستحلوه من أعداء الله من اليهود والنصارى؟!. فإلى الله الموعد وإليه الملتجأ، وإليه التحاكم، وبين يديه التخاصم.

نحن وإياهم نموت ولا
أفلح يوم الحساب من ندما

وهذا شأن كل مبطل ومبتدع، يلقِّب الحق وأهله بالألقاب الشنيعة المنفردة، فإذا أطلقوا لفظ (الجسم) صوَّروا في ذهن السامع خشبة من الخشب الكثيف، أو بدنًا له حامل يحمله، وإذا قالوا: (مركَّب) صوَّروا في ذهنه أجزاء متفرقة فركبها، وهذا حقيقة المركب لغة وعرفًا. وإذا قالوا: (حشوية)، صوَّروا في ذهن السامع أنهم حشوا في الدين ما ليس منه، فتنفر القلوب من هذه الألقاب.

ولو ذكروا حقيقة قولهم لما قبلت القلوب السليمة والفطر المستقيمة سواه، فكيف يُترك الحق لأسماء سمَّوها هم وأسلافهم ما أنزل الله بها من سلطان، وألقاب وضعوها من تلقاء أنفسهم لم يأت بها سنة ولا قرآن، وشبهات قُذفت بها القلوب؛ ما استنارت بنور الوحي ولا خالطها بشاشة الإيمان، وخيالات هي بتخيلات أصحاب الهوس أشبه منها بقضايا العقل والبرهان، ووهميات نسْبتُها إلى العقل الصحيح كنسْبة السراب في الأبصار في القيعان، وألفاظ مجملة ومعان مشتبهة قد لُبِّس فيها الحق بالباطل فصار ذا خفاء وكتمان".

(ب) نصيحة لأدعياء التنزيه ممن ينْفون مع الجسمية صفات الباري سبحانه:

إلى أن قال أي: ابن الموصلي: "فدعونا من هذه الدعاوى الباطلة التي لا تفيد إلا إتعاب الإنسان، وكثرة الهذيان وحاكمونا إلى الوحي والقرآن، لا إلى منطق يونان، ولا إلى قول فلان ورأي فلان، فهذا كتاب الله ليس فوق بيانه مرتبةٌ في البيان، وهذه سنةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مطابقةٌ له أعظم من مطابقة البيان للسان، وهذه أقوال أعقل الأمم بعده والتابعين لهم بإحسان، لا يختلف منهم في هذا الباب اثنان، ولا يوجد عنهم فيه قولان متنافيان، بل قد تتابعوا كلهم على إثبات الصفات وعلو الله على خلقه واستوائه على

عرشه، وإثبات تكلُّمه وتكليمه وسائر ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله كتتابع الأسنان، وقالوا للأمة: هذا عهدُ نبينا إلينا وعهدُنا إليكم وإلى من بعدكم إلى آخر الزمان، وهذا هو الذي نادى به المنادي وأذَّن على رءوس الملأ في السر والإعلان، فحيَّ على الصلاة وراء هذا الإمام يا أهل الإيمان، وحي على الفلاح بمتابعته يا أهل القرآن، والصلاة خير من النوم في ظلمة ليل الشكوك والإفك والكفران، فلا تصح القدوة بمن أقر على نفسه وصدَّقه المؤمنون بأنه تائه في بيداء الآراء والمذاهب حيران، وأنه لم يصل إلى اليقين بشيء منها؛ لا هو ولا من قبله على تطاول الزمان، وإن غاية ما وصلوا إليه: الشك والتشكيك ولقلقة اللسان.

فالحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وخصَّهم بكمال العقول وصحة الفطرة ونور البرهان، وجعلهم هداةً مهتدين، مستبصرين مبصِّرين، أئمةً للمتقين يهدون بأمره، ويبصِّرون بنوره ويدعون إلى داره ويُجادلون كل مفتتن فتان، فحيَّ على خير العمل بمتابعة المبعوث بالفرقان، وتحكيمه وتلقي حُكمه بالتسليم والقبول والإذعان، ومقابلة ما خالف حُكمه بالإنكار والرد والهوان، ومطاعنة المعارضين له بعقولهم بالسيف والسنان، وإلا بالعلم واللسان، فالعقول السليمة والفطر المستقيمة لنصوص الوحي يسجدان، ويصدقان بما شهدت به ولا يكذبان، ويُقرَّان أن لها عليهما أعظم سلطان، وأنهما إن خرجا عنها غُلبا ولا ينتصران، والله المستعان، وعليه التكلان" انتهى بتصرف.

(جـ) والسفاريني ينظم في إثبات الصفات ونفي الجسيمة عن الله وصفاته:

فتحت عنوان: (فصل في ترجيح مذهب السلف) يقول الإمام السفاريني (ت١١٨٨)، في منظومته المنسوبة إليه والمُقترح أن يتربّى عليها الناشئةُ، يحفظونها كما يحفظون (تحفة الأطفال)، والمسماة بـ (الدرة المُضية في عقد الفرقة المرضيَة):

٢٧- فعقدَنا الإثباتُ يا خليلي
من غير تعطيل ولا تشبيه
٢٨- وكلٌ من أوَّل في الصفات
كذاته من غير ما إثبات
٢٩- فقد تعدى واستطال واجترى
وخاض في بحر الهلاك وافترى
٣٠- ألم تر اختلاف أصحاب النظر
فيه وحُسْنَ ما نحاه ذو الأثر
٣١- فإنهم قد اقتدوا بالمصطفى
وصحبه فاقنع بهذا وكفى

ولا أجمل ولا أخصر من مقولة أبي الحسن الأشعري التي هي حريَّةٌ أن تُحفظ:

وذلك قوله في رسالته إلى أهل الثغر ص٢٢٧ فيما (أجمع عليه الصحابة ومن تبعهم: مما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إليه ونبههم بما ذكرناه على صحته)، قال في الإجماع الثامن ما نصه: "وأجمعوا على أنه تعالى يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين ويعذب منهم من يشاء كما قال، وليس مجيئه حركة ولا زوالًا، وإنما يكون المجيء حركة وزوالًا إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا، فإذا ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نُقلة أو حركة، ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم: (جاءت زيدًا الحُمى) أنها تنقلت إليه أو تحرَّكت من مكان كانت فيه إذ لم تكن جسمًا ولا جوهرًا، وإنما مجيئها إليه وجودها به؛ وأنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كما روى عن النبي عليه السلام، وليس نزوله نقلة، لأنه ليس بجسم ولا جوهر، وقد نزل الوحي على النبي عند من خالفنا" يعني: فهو حجة عليه كما أنه حجة لنا.

وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة (٣)

غزوة أحد

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» (الأحزاب: ٢٣)

إعداد د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد سبق لنا عرض مواقف وبطولات نادرة وعجيبة في سياق غزوة أُحد: جديرة بأن تُذكر ليتأسى بها شباب المسلمين في زمان تكالبت فيه الأعداء على الأمة الإسلامية، وحاجتها لذكر هذه الأمثلة في سيرها نحو العزة والكرامة، ولذلك ما زلنا نعرض لبعض هذه المواقف لرجال ممن قال الله فيهم: «مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا» (الأحزاب: ٢٣)، نلتمس منها العبرة، ونرى فيها الأسوة: فإليكم معشر القراء ما يلي:

وقد ذكرنا قبل ذلك بعض المواقف المشرفة والبطولات النادرة المشرقة من ساحة القتال في غزوة أحد، وكان آخر ذلك ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإليكم الآن بعض هذه المواقف.

الموقف الخامس: موقف سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه

كان سعد ابن أبي وقاص بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي عنه؛ عن سَعْد بْن أبي وَقَّاص، يَقُولُ: نَثَلَ لي النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُد، فَقَالَ: "ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي" (صحيح البخاري: ٤٠٥٥).

وهذه منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه؛ حيث جمع له النبي صلى الله عليه وسلم أبويه في الدعاء، وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْه، يَقُولُ: "مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم يَجْمَعُ أَبَوَيْه لأَحَد غَيْرِ سَعْد" (صحيح البخاري: ٤٠٥٨).

ومن مناقبه في هذا الموقف رؤية الملائكة

وعَنْ سَعْد بْن أَبي وَقَّاص، قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُد عَنْ يَمين رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَعَنْ يَسَاره رَجُلَيْن عَلَيْهِمَا ثيَابٌ بيضٌ، يُقَاتلَان عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقتَال مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ" (صحيح مسلم: ٢٣٠٦).

سادسًا: موقف أبي طلحة رضي الله عنه

وعَنْ أَنَس رَضيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُد انْهَزَمَ النَّاسُ عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَي النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم مُجَوِّبٌ عَلَيْه بحَجَفَة لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَاميًا شَديدَ النَّزْع؛ كَسَرَ يَوْمَئذ قَوْسَيْن، أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بجَعْبَة منَ النَّبْل: فَيَقُولُ: "انْثُرْهَا لأَبي طَلْحَةَ" قَالَ: وَيُشْرِفُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم يَنْظُرُ إلَى الْقَوْم: فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بأَبي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرفْ، يُصيبُكَ سَهْمٌ منْ سهَام الْقَوْم، نَحْري دُونَ نَحْركَ" (صحيح البخاري: ٤٠٦٤).

سابعًا: ذاك يوم كله لطلحة

وعَنْ قَيْس، قَالَ: "رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ وَقَى بهَا النَّبيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم يَوْمَ أُحُد" (صحيح

البخاري: ٤٠٦٣).

عنْ عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أُحد بكى، ثُمَّ قال: ذاك كلُّه يوم طلحة، ثُمَّ أنشأ يُحدِّث، قال: كُنتُ أوَّل منْ فاء يوم أُحد فرأيْتُ رجُلًا يُقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه، وأُراه قال: يحميه، قال: فقُلْتُ: كُنْ طلحة حيْثُ فاتني ما فاتني، فقُلْتُ: يكون رجُلًا منْ قومي أحبّ إليَّ وبيْني وبيْن المشْرق رجُلٌ لا أعْرفُه، وأنا أقْربُ إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم منْهُ، وهُو يخْطفُ المشْي خطْفًا لا أخْطفُهُ، فإذا هُو أبو عُبيْدة بْنُ الجرَّاح، فانْتهيْنا إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم وقدْ كُسرتْ رباعيتُهُ، وشُجَّ في وجْهه وقدْ دخل في وجْنتيْه حلْقتان منْ حلق المغْفر.

فقال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "عليْكُما صاحبكُما". يُريدُ طلْحة، وقدْ نزف، فلمْ يُلْتفتْ إلى قوْله، وذهبْتُ لأنْزع ذاك منْ وجْهه، فقال أبُو عُبيْدة: أقْسمْتُ عليْك بحقِّي لما تركْتني، فتركْتُهُ فكره أنْ يتناولهُما بيده، فيُؤذي النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأزم عليْهما بفيه فاسْتخْرج إحْدى الحلْقتيْن، ووقعتْ ثنيَّتُهُ مع الحلْقة، وذهبْتُ لأصْنع ما صنع فقال: أقْسمْتُ عليْك بحقِّي لما تركْتني قال: ففعل مثْل ما فعل في المرَّة الأُولى فوقعتْ ثنيَّتُهُ الأُخْرى مع الحلْقة فكان أبُو عُبيْدة منْ أحْسن النَّاس هتْمًا، فأصْلحْنا منْ شأْن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ أتيْنا طلْحة في بعْض تلْك الجفار فإذا به بضْعٌ وسبْعُون أوْ أقلُّ أوْ أكْثرُ بيْن طعْنةٍ ورمْيةٍ وضرْبةٍ وإذا قدْ قُطعتْ إصْبعُهُ فأصْلحْنا منْ شأْنه. (مسند أبي داود الطيالسي).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ثامنا: مقتل مصعب بنِ عمير وحمزة وتأثر الصحابة بذلك

عنْ خباب رضي الله عنْهُ، قال: هاجرْنا مع النَّبيِّ صلَّى الله عليْه وسلَّم نلْتمسُ وجْه الله، فوقع أجْرُنا على الله، فمنَّا منْ مات لمْ يأْكُلْ منْ أجْره شيْئًا، منْهُمْ مُصْعبُ بْنُ عُميْرٍ قُتل يوْم أُحُدٍ، فلمْ نجدْ ما نُكفِّنُهُ إلَّا بُرْدةً إذا غطَّيْنا بها رأْسهُ خرجتْ رجْلاهُ، وإذا غطَّيْنا رجْليْه خرج رأْسُهُ، "فأمرنا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنْ نُغطِّي رأْسهُ، وأنْ نجْعل على رجْليْه من الإذْخر ومنَّا منْ أيْنعتْ لهُ ثمرتُهُ، فهُو يهْدبُها" (صحيح البخاري: ١٢٧٦).

وعن عبْد الرَّحْمن بْن عوْفٍ رضي الله عنْهُ، أُتي بطعامٍ وكان صائمًا، فقال: "قُتل مُصْعبُ بْنُ عُميْرٍ وهُو خيْرٌ منِّي، كُفِّن في بُرْدةٍ، إنْ غُطِّي رأْسُهُ، بدتْ رجْلاهُ، وإنْ غُطِّي رجْلاهُ بدا رأْسُهُ ثُمَّ بُسط لنا من الدُّنْيا ما بُسط، وقدْ خشينا أنْ تكُون حسناتُنا عُجِّلتْ لنا. ثُمَّ جعل يبْكي حتَّى ترك الطَّعام" (صحيح البخاري ١٢٧٥و٤٠٤٥)

تاسعا: عن قتادة بن النعمان الظفري:

وعنْ عاصم بْن عُمر بْن قتادة، أنَّ قتادة بْن النُّعْمان "سقطتْ عيْنُهُ على وجْنته يوْم أُحُد، فردَّها رسُول الله صلى الله عليه وسلم فكانتْ أحْسن عيْن وأحدَّها" (مصنف ابن أبي شيبة: ٣٦٧٦٨).

عاشرا: موقف عظيم لأنس بن النضر رضي الله عنه

عنْ أنس رضي الله عنْهُ أنَّ عمَّهُ غاب عنْ بدْرٍ، فقال: غبْتُ عنْ أوَّل قتال النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، لئنْ أشْهدني اللهُ مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ليريَنَّ الله ما أجدُّ، فلقي يوْم أُحُدٍ، فهُزم النَّاسُ، فقال: "اللَّهُمَّ إنِّي أعْتذرُ إليْك ممَّا صنع هؤُلاء، يعْني المُسْلمين وأبْرأُ إليْك ممَّا جاء به المُشْركُون"، فتقدَّم بسيْفه فلقي سعْد بْن مُعاذٍ، فقال: أيْن يا سعْدُ، إنِّي أجدُ ريح الجنَّة دُون أُحُدٍ، فمضى فقُتل، فما عُرف حتَّى عرفتْهُ أُخْتُهُ بشامةٍ أوْ ببنانه، وبه بضْعٌ وثمانُون منْ طعْنةٍ وضرْبةٍ ورمْيةٍ بسهْمٍ. (صحيح البخاري: ٤٠٤٨).

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

مبتدعات شهر رجب

إعداد **الشيخ / إبراهيم حافظ رزق**

فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد جاء الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ولزوم سُنته في آيات كثيرة من القرآن وأحاديث شريفة، وكلها نصوص صريحة في وجوب طاعته واتباع سُنته والتسليم له دون اعتراض، وعدم الخروج عن أوامره صلى الله عليه وسلم: قال تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ» (الحشر: ٧).

ونفى الله الإيمان عن الذين لا يُسلِّمون لأمر الرسول ويرتضون بحكمه فقال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥)، وحذَّر الله من مخالفة أمر رسوله عليه الصلاة والسلام فقال تعالى: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور: ٦٣).

وفي السنة ما يدل على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، واتباع سنته، والتحذير من البدع. فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان عن العرباض بن سارية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» صححه الألباني في صحيح أبي داود.

فالمسلم مأمور بالاتباع، ومنهي عن الابتداع وإحداث الأمور المخالفة في الدين، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه.

وفي رواية مسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»؛ أي: مردود على صاحبه غير مقبول منه.

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم).

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: (ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن). وهذا واقع مُلاحظ في حياة الناس اليوم، وقال الإمام مالك رحمه الله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

واليوم لما استحكمت غربة الدين وقل أعوانه وكثر أعداؤه وضعف إيمان أهله، وانشغلوا عنه بغيره، وكثر دعاة السوء وأرباب البدع وتغيَّرت الأحوال؛ فعاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، وانتشرت البدع بين كثير من الناس، وسرت في قلوبهم وعقولهم كما تسري الدماء في أبدانهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن البدع التي أحدثها الناس في شهر رجب: تخصيص هذا الشهر بالصيام وكل الأحاديث التي جاءت في هذا الشأن إما ضعيف أو موضوع، قال ابن قدامة في المغني ج٤، ص٤٢٩: «ويُكره إفراد رجب بالصيام»، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب أكفَّ المترجبين حتى يضعوها في الطعام ويقول: كلوا فإنما هو شهر كانت تعظمه الجاهلية.

وقال ابن رجب: وأما الصيام فلم يصح في فضل الصوم في رجب شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه. (لطائف المعارف).

والسُّنة في الصيام صيام يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك صيام الأيام البيض من كل شهر قمري، وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الصيام في شهر شعبان كما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صيامًا في شعبان».

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم في شهر من الشهور ما تصوم في شعبان؟ قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى ربِّ العالمين، وأحبّ أن يُرفع عملي وأنا صائم». رواه أبو داود والنسائي وحسنه الألباني.

وأخبر صلى الله عليه وسلم: «أن أحب الصيام إلى الله صيام داود عليه السلام، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا» رواه البخاري ومسلم.

وكذلك من البدع في شهر رجب: صيام الشهر كله، ومعه شعبان أيضا كله، وذلك مخالف لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته، يقول ابن القيم في زاد المعاد: «ولم يصم صلى الله عليه وسلم الثلاثة أشهر سردًا كما يفعله بعض الناس، ولا صام رجب قط ولا استحب صيامه». انتهى.

كذلك من البدع: تخصيص رجب بذبيحة؛ فقد

كان أهل الجاهلية يخصون شهر رجب بذبيحة، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ كما في الحديث المتفق عليه: «لا فَرَعَ ولا عَتِيرَةَ». والفرَع: أوّل النّتاج، كانوا يَذْبَحُونَه لطواغيتهم، والعَتِيرَةُ في رجب. رواه البخاري.

قال ابن رجب في لطائف المعارف: «ويشبه الذبح في رجب اتخاذه موسمًا وعيدًا».

كذلك من مبتدعات شهر رجب: زيارة القبور بما يسميه العامة «طلعة رجب»، وخروج النساء إلى المقابر وهو من أقبح البدع كما ذكر الشيخ الألباني في أحكام الجنائز، فإكثار الزيارة منهن للقبور ممنوعة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله زائـرات القبور». وفي روايـة: «زوّارات القبور» من حديث أبي هريرة، صحيح الترمذي والألباني في صحيح الجامع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: "زيارة القبور تنقسم إلى زيارة شرعية وزيارة بدعية، فالزيارة الشرعية هي التي يُقصَد بها تذكُر الموت والزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة والدعاء للموتى بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، والتي لا يُصاحبها شقّ الجيوب ولا لطم الخدود ولا الدعاء بدعوى الجاهلية".

وأما الزيارة البدعية فهي التي تكون في المواسم كطلعة رجب أو في العيدين أو تعدد زيارة النساء للمقابر كالخروج ثلاث جمع متتالية.

كما يحدث الآن ويصاحبها تزين النساء وخروجهن بدون محرم، فضلاً عن لطم الخدود وشق الجيوب، وتعديد محاسن الميت ومآثره، ونستطيع القول: إن هناك زيارة شركية أيضًا وهي الزيارة التي يشد فيها الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين، وما يصاحب ذلك من دعاء غير الله، والاستغاثة بصاحب القبر وطلب المدد وسؤال الموتى ما لا يسأل إلا من الله من كشف الكربات وقضاء الحاجات وشفاء المرضى، وغير ذلك من الدعوات الشركية.

وكذلك ما أحدثه الناس في رجب من الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج؛ ليلة السابع والعشرين من رجب، مع أنه لم يقم دليل على تعيين ليلة الإسـراء والمعـراج ولا شهرها؛ كما ذكـر شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى.

وأيضًا كما ذكر هذا الحافظ ابن حجر في كتابه تبيين العجب فيما ورد في شهر رجب، وقال: "إنما يذكره القُصّاص، ولو ثبت هذا ما كان لنا أن ننشئ عبادة لم تثبت في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ومن الأحاديث التي لا تصح نسبتها إلى النبي عليه الصلاة والسلام: «كان إذا دخل رجب قال: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان». ضعيف جدًا.

وكـذلـك: «رجـب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي». كذب موضوع.

وكذلك: «صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين». ضعيف جدًا.

فالخير كل الخير في اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنته لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها...» رواه مسلم.

هدانا الله وإياكم سواء السبيل ورزقنا جميعًا حسن التأسي والاقتداء بخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا.

من دروس الإسراء والمعراج:
الفرج بعد الشدة

إعداد الشيخ/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله فارج كل همّ، ومُزيل كل غمّ، ومُيسّر كل عسر، ومُسهّل كل صعب، والصلاة والسلام على أشد الناس بلاءً وأكثرهم صبرًا وبعد:

فإن رحلة الإسراء والمعراج مليئة بالدروس والعظات النافعة إلى يوم القيامة، منها: الفرج بعد الشدة.

أولا: عام الشدة وتراكم الأحزان:

فَقَد النبي صلى الله عليه وسلم في العام العاشر من البعثة النبوية نصيرَيْن، وسندَيْن؛ هما: عمُّه أبو طالب، وزوجُه السيدة خديجة-رضي الله عنها-، فاشتد الكرب وعظُم الخطب، وكثُر الأذى، فخرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف.

(١) موت أبي طالب:

عن سَعِيد بْن المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طالب الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يَا عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّه"؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ المَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا

كلَّمهم: هو على ملة عبد المطّلب، وأبى أنْ يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك». فأنزل الله عزّ وجل: «ما كان للنّبيّ والّذين آمنوا أنْ يستغفروا للمُشركين ولو كانوا أولي قربى منْ بعْد ما تبيّن لهمْ أنّهمْ أصحابُ الجحيم» (التوبة: ١١٣). وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّك لا تهدي منْ أحببْت ولكنّ الله يهْدي منْ يشاءُ وهو أعْلمُ بالمُهْتدين» (القصص: ٥٦). (صحيح مسلم: ٢٤).

(٢) موت السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم:

عنْ هشام، عنْ أبيه، قال: «تُوفّيتْ خديجة قبْل مخْرج النّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم إلى المدينة بثلاث سنين» (صحيح البخاري ٣٨٩٦).

وكانت السيدة خديجة نعْم الزوجة في كل الأحوال: فعنْ علي رضي الله عنْه، قال: سمعْتُ النّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم، يقول: «خيْرُ نسائها: مريمُ ابْنةُ عمْران، وخيْرُ نسائها خديجةُ» (صحيح البخاري ٣٤٣٢، وصحيح مسلم ٢٤٣٠).

و"خيْرُ نسائها" المراد به جميعُ نساء الأرض: أيْ كُلّ منْ بيْن السّماء والأرْض من النّساء. (شرح النووي: ١٥/ ١٩٨).

(٣) رحلة الطائف:

خرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف في السّنة العاشرة من البعثة، وقطع الطريق بين مكة والطائف المسافة بين مكة والطائف (٨٨ كم) ماشيا. وذكر الواقدي: أن مدة إقامته بالطائف كانت عشرة أيام (طبقات ابن سعد ١/ ٢٢١).

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أنّها قالت للنّبيّ صلى الله عليه وسلم هل أتى عليْك يوْمٌ كان أشدّ منْ يوْم أُحد، قال: " لقدْ لقيتُ منْ قوْمك ما لقيتُ، وكان أشدّ ما لقيتُ منْهُمْ يوْم العقبة، إذْ عرضْتُ نفْسي على ابْن عبْد ياليل بْن عبْد كلال، فلمْ يُجبْني إلى ما أردْتُ، فانْطلقْتُ وأنا مهْمُومٌ على وجْهي، فلمْ أسْتفقْ إلّا وأنا بقرْن الثّعالب فرفعْتُ رأْسي، فإذا أنا بسحابة قدْ أظلّتْني، فنظرْتُ فإذا فيها جبْريلُ، فناداني فقال: إنّ الله قدْ سمع قوْل قوْمك لك، وما ردُّوا عليْك، وقدْ بعث إليْك ملك الجبال لتأْمُرهُ بما شئْت فيهمْ، فناداني ملكُ الجبال فسلّم عليّ، ثُمّ قال: يا مُحمّدُ، فقال، ذلك فيما شئْت، إنْ شئْت أنْ أُطْبق عليْهمُ الأخْشبيْن؟ فقال النّبيُّ صلّى اللّهُ عليْه وسلّم: بلْ أرْجو أنْ يُخْرج اللّهُ منْ أصْلابهمْ منْ يعْبُدُ اللّه وحْدهُ، لا يُشْركُ به شيْئًا" (صحيح البخاري: ٣٢٣١).

ثانيا: وجاء الفرج من الله تعالى برحلة الإسراء والمعراج:

جاءت رحلة الإسراء والمعراج تكريماً لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجبراً لخاطره ومواساة لقلبه وتسرية لنفسه، بعدما تحمّل أذى قومه، وإعراضهم عن دعوته النبيلة ورسالته الكاملة، وبعدما فقد زوجته الحبيبة المؤنسة (خديجة بنت خويلد) وعمه (أبا طالب) الشهم النبيل، فاختصه الله تعالى بهذه المعجزة العظيمة؛ حيث طوى سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم الزمان والمكان ليطلعه على حقائق عجيبة وأسرار كونية بقدرته سبحانه المطلقة التي لا يحدّها حدّ ولا يتصورها عقل؛ حيث يقول تعالى: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» (النجم: ١٨).

ومن المشاهد المفرحة والمطمئنة والمثبتة للنبي صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج مثلاً:

(١) النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالأنبياء إماما في المسجد الأقصى:

(أ) عنْ أنس بْن مالك، أنّ رسُول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: «أُتيتُ بالبُراق، فركبْتُهُ حتّى أتيْتُ بيْت المقْدس»، قال: «فربطْتُهُ بالحلْقة الّتي يرْبطُ به الأنْبياءُ»، قال: "ثُمّ دخلْتُ المسْجد، فصلّيْتُ فيه ركْعتيْن. (صحيح مسلم: ١٦٢)؛ (فصلّيْت

فيه ركعتين): أيْ: تحيّةَ المسْجد (مرقاة المفاتيح: ٣٧٦٥/٩).

(ب) عنْ أبي هُريْرة، قال: قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «وقدْ رأيْتني في جماعة من الأنبياء، فإذا مُوسى قائمٌ يُصلي، فإذا رجُل ضرْبٌ، جعْدٌ كأنّه منْ رجال شنُوءة، وإذا عيسى ابْنُ مرْيم عليْه السّلامُ قائمٌ يُصلي، أقربُ النّاس به شبهًا عُرْوةُ بْنُ مسْعُود الثّقفيُّ، وإذا إبْراهيمُ عليْه السّلامُ قائمٌ يُصلي، أشْبهُ النّاس به صاحبُكُمْ-يعْني نفْسهُ- فحانت الصّلاةُ فأممْتُهُمْ"(مسلم ١٧٢).

(٢) دخول الجنة والعطايا الربانية:

(أ) قال تعالى: «عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ» (النجم: ١٥)، «جنَّةُ المـأْوى»: أي: الجنة الجامعة لكل نعيم، وهـذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، وفوق السماء السابعة. (تفسير السعدي: ٨١٨/١).

قوله: «عنْدها جنّةُ المأوى»: أي: الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء، والمتقين أولياء الله تعالى. (أيسر التفاسير: ١٩٠/٥).

عن أبي ذر، قال: قال صلى الله عليه وسلم: "ثُمّ انطلق بي جبْريل حتّى نأْتي سدْرة المُنْتهى فغشيها ألْـوانٌ لا أدْري ما هـي؟ قـال: ثُـمّ أُدْخـلْـتُ الجنّة، فإذا فيها جنابذُ اللُّؤْلُؤ، وإذا تُرابُها المسْكُ. (رواه مسلم: ١٦٣)، وزاد (البخاري ٣٤٩): "فإذا فيها حبايلُ اللُّؤْلُؤ"، قوْلُه صلى الله عليه وسلم(جنابذُ اللُّؤْلُؤ)، أمّا الجنابذُ فالقبابُ واحدتُها جُنْبذةٌ (شرح النووي: ٢٢٢/٢). (ترابها المسك): أي: تفوح منه رائحة المسك (حبايل) قلائد وعقود جمع حبالة وهي حبل.

(ب) عطايا وهدايا عند سدرة المنتهى:

عنْ عبْد الله، قال: «لمّا أُسْري برسُول الله صلى الله عليه وسلم، انْتُهي به إلى سدْرة المُنْتهى... قال: "فأُعْطي رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثًا: أُعْطي الصّلوات الخمْس، وأُعْطي خواتيم سُورة البقرة، وغُفر لمنْ لمْ يُشْركْ بالله منْ أُمّته شيْئًا، المُقْحماتُ"(صحيح مسلم: ١٧٣).

هذه العطايا هي (١) الصلوات الخمس: كما في الصحيحين عن أبي ذر وأنس ومالك بن صعصعه رضي الله عنهم، وكانت خمسين صلاة، ثم خففها الله إلي خمس صلوات.

(٢) أعطي صلى الله عليه وسلم خواتيم سُورة البقرة: عنْ أبي مسْعُود الأنْصاريّ، قال: قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «منْ قرأ هاتيْن الآيتيْن مـنْ آخـر سُورة البقرة في ليْلة كفتاهُ» (صحيح البخاري ٤٠٠٨، صحيح مسلم ٨٠٨).

كفتاهُ: قيل معْناهُ كفتاهُ منْ قيام اللّيْل، وقيل من الشّيْطان، وقيل من الآفات، ويحْتملُ من الجميع. (شرح النووي ٩١/٦).

(٣) وغُفر لـمنْ لمْ يُشْركْ بـالله مـنْ أُمّـتـه شيْئًا، المُقْحماتُ: أي: الذُّنوبُ العظامُ التي تقْحمُ أصحابها في قحم النار: أي: تُلقيهم فيها. (المفاتيح في شرح المصابيح ٢٠٠/٦).

من أدعية وأذكار تفريج الكرب:

(١) عن ابْن عبّاس-رضي الله عنْهُما-، قال: كان النّبيُّ صلى الله عليْه وسلم يدْعُو عنْد الكرْب يقُول: «لا إله إلّا اللهُ العظيمُ الحليمُ، لا إله إلّا اللهُ ربُّ السّموات والأرْض، وربُّ العرْش العظيم» (صحيح الـبـخـاري: ٦٣٤٥). ودل هـذا الحديث على مشروعية الدعاء بما اشتمل عليه لمن نزل به كرب، وبعد فراغه يدعو بأن يكشف الله عنه كربه، ويذهب عنه ما أصابه، ويدفع عنه ما نزل به. (منار القاري ٢٨٠/٥).

(٢) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعواتُ المكروب: اللهمّ رحْمتك أرْجو، فلا تكلْني إلى نفْسي طرْفة عيْن، وأصْلحْ لي شأْني كُلّهُ، لا إله إلا أنْت» (سنن أبي داود ٥٠٩٠، صحيح الجامع ٣٣٨٨).

والحمد لله رب العالمين.

صفات الزوجة الصالحة

إعداد **الشيخ عبده أحمد الأقرع**

فرع اختاواي

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده: نبينا وأسوتنا وسيدنا وقدوتنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فالأسرة تلك اللبنة التي تشكل أساس المجتمع، وتتكون من أفراد تقوم بينهم علاقات دائمة، تكاد تكون أكثر العلاقات الإنسانية أهمية، علاقات الصحبة والاقتران القائمتان على الودّ والأنس والتآلف، علاقات عميقة الجذور، بعيدة الأماد، إنها أشبه ما تكون صلة للمرء بنفسه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

فضلاً عما تهيؤه هذه العلاقات من تربية البنين والبنات وكفالة النشء التي لا تكون إلا في ظل أمومة حانية، وأبوة كادحة، وأيّ بيئة أزكى من هذا الجوّ الأسري الكريم، ذلك أن الإنسان تقتضي فطرته أن يعيش حياة اجتماعية هانئة في إطار أسرة مترابطة متعاونة متقاربة في المشاعر والأهداف، وقد كان تشريع الإسلام للزواج نقطة البدء في تكوين الأسرة وأدائها لرسالتها وفق قواعد وأحكام وتعاليم وآداب بلغت المنزلة التي ليس بعدها منزلة في بناء الأسرة وانتظامها واستقرار حياتها.

نعم شرع الإسلام الزواج، بأن يقيم الرجل والمرأة بينهما علاقة زوجية شرعية تسودها المودة والرحمة، ويتعاونان على الأخذ والعطاء، ويتبادلان الرأي والمشورة في كل شأن من شؤون الأسرة، وهذا يعين كلّا منهما على القيام بواجباته بروح من الرضا والثقة والمحبة والإيثار.

ثم إن الزوجة بالنسبة للزوج مستودع سرّه وقوته، يجدّد بها نشاطه وحيويته، وهي له مستقر راحته وسكنه، والأسرة للمرأة موئلها ومملكتها تؤدي من خلالها رسالتها، وتلبّي نداء الفطرة في كيانها، وتحقق ذاتها وتمارس نشاطها بصفته مصدرًا للهناء ودواء لهموم الحياة وآلامها، وهي تزرع في الأطفال كل النوازع الخيرية والقيم الكريمة.

ويجدر بنا أن نعلم أن الحياة الزوجية من وجهة النظر الإسلامية هي في الحقيقة حياة منضبطة، تقوم على قواعد أخلاقية، وتحكمها آداب وتوجيهات ربانية، وتحدّد علاقاتها أحكام وتعاليم شرعية، وليست حياة سائبة يتصرف فيها أفراد الأسرة بما يحلو لهم من التصرفات دون شعور بالمسئولية وبلا وازع من دين، أو رادع من إيمان.

ابحث ما شئت في بطون الكتب، واقرأ ما عنّ لك من

أسفار، وانظر في جنبات العالم وآفاقه، وابحث في مجتمعاته وأعماقه، واكشف النقاب عن تاريخه، ابحث بالعقل النزيه، واقرأ بالقلب الواعي، وانظر بالعين الفاحصة بكل عقلانية وموضوعية عن نظام أسَريّ فلن تجد بديلاً عن النظام المُحكَم الذي قرّره الدين الحنيف للأسرة، ولن تعثر على أروع ولا أشمل ولا أعدل من نظام الإسلام؛ لأنه هو النظام الفطري الإلهي المحكم في كلياته وجزئياته، ولا تستقيم حياة الأسرة إلا إذا عرف كل فرد من أفرادها ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، فيؤدي ما عليه في طواعية وحب، ويأخذ ما له في رجاء وشكر، فتتحقق السعادة للأسرة، وتبسط رداءها الجميل على أفرادها جميعًا.

قال الله تعالى: « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم: ٢١).

وحتى يكون كذلك فلا بد من تذكير الأسرة وتثقيفها بصورة مستمرة لحمايتها وأداءً لرسالتها في المجتمع بنجاح، ولن تستغني الأسرة عن هذا التذكير يومًا من الأيام. ولا سيما إذا كان هذا التذكير مستنبطًا من كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، فلا يكون أمام المسلم أو المسلمة مجال للانسلاخ منها، أو التقليل من شأنها، أو اعتبارها أمورًا ثانوية تقع على هامش الحياة، بل إننا نجد القرآن الكريم يُصرح بأن الاستجابة إلى أمر الله ورسوله لا يجوز أن تكون حالة مزاجية، بل هي واجبة يستلزمها الايمان ويقتضيها الدين.

قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا » (الأحزاب: ٣٦).

ولما كانت الزوجة بالنسبة للزوج مستودع سرّه وقوته، والأسرة للمرأة موئلها ومملكتها تؤدي من خلالها رسالتها، أردت أن أذكر بشيء من سلوك

الزوجة الصالحة:

١- من المستحيل أن يتحقق نجاح العلاقة الزوجية إذا لم تلعب الزوجة دورًا إيجابيًا فعّالاً فيها؛ مهما كان الزوج مثاليًا ورائعًا. فانتبهي-أيتها الزوجة الصالحة- لهذا الأمر، وتحمّلي مسؤولياتك، فعليك يعتمد نجاح الأسرة أو فشلها.

٢- إذا أردت أن تصومي تطوعًا فلا تفعلي ذلك قبل أن تستأذني زوجك، فإن لم يأذن لك، فليس من حقك حينئذ الصوم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه » (متفق عليه: البخاري (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦).

٣- إذا لم يرغب زوجك بدخول أحد أقاربه أو أقاربك أو الجيران أو غيرهم من الناس، فلا تأذني بدخول ذلك الشخص منزلك، وذلك للحديث السابق ذكره.

٤- انتبهي باستمرار لنظافة أسنانك، وطيب رائحة فمك، وحافظي على مظهرك اللائق باستمرار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خير النساء التي تسره إذا نظر، وتُطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره ». (صحيح الجامع رقم (٣٢٩٨).

٥- في حالة غياب زوجك عنك، كوني أكثر محافظة على نفسك ورعاية لماله وأولاده ومنزله؛ فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خير النساء مَن تسرّك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك » (صحيح الجامع رقم ٣٢٩٩).

٦- قابلي ما ينفق زوجك عليك وعلى المنزل بالشكر والعرفان لا بالجحود والنكران؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أريتُ النار؛ فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: لا؛

يكفرن العشير، لو أحسنت لإحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط». (البخاري (١٠٤/١)، ومسلم (٦٢٦/٢).

٧- إيـاك أن تهجري فراش زوجـك مهما كانت الأسباب التي تجعلك تقدمين على ذلك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأته فبات غضبانًا عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». (متفق عليه: البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦).

وفي رواية: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». وفي روايـة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا الذي كان في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها». (متفق عليه: البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦). معنى: «فراشه»: هو كناية عن الجماع، ومعنى: «فتأبى عليه»: أي: تمتنع.

٨- اعلمي أن لقدرة زوجك المادية حدودًا فارضي منه باليسير ولا تكلفيه ما لا يطيق، ولا تطالبيه بما هو فوق طاقته، فتوقعيه وتوقعي الأسرة كلها في الديون، حتى لو كان زوجك من الأغنياء، فإن الإسراف في اللباس والأثاث أمر مكروه بغيض لا يليق الإقدام عليه، قال الله تعالى: «لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» (الطلاق: ٧).

وقال الله تعالى: «إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا» (الإسراء: ٢٧).

٩- ولا تنفق شيئًا من بيت زوجها إلا بإذنه، قال صلى الله عليه وسلم: «ولا تنفق امرأة شيئًا من بيت زوجها إلا بإذنه». قيل: ولا الطعام؟ قال: «ذلك أفضل أموالنا». (صحيح ابن ماجه (١٨٥٩).

١٠- احذري نشر أسرار الزوج ولا سيما المتعلقة بـالـفـراش، فعن أسـمـاء بنت يـزيـد رضـي الله عنهما أنها كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود، فقال: «لعل رجلاً يقول ما يفعله بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها». فأرمّ القوم، فقلت: إي والله يا رسول الله، إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون، فقال: «فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك كمثل شيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون». (آداب الزفاف للألباني رحمه الله، ص ٧٢).

١١- الزوجة العاقلة تحرص على دوام العشرة بينها وبين زوجها، ولا تسأله الطلاق من غير سبب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائـحـة الجـنـة». (إرواء الغليل ٢٠٣٥). وصححه

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تهنئة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص التهنئة للأستاذ: **عبد الرحمن عبده أحمد الأقرع**، بمناسبة حصوله على درجة التخصص (الماجستير) في العلوم/ الميكروبيولوجي، تحت عنوان: «تخليق وتوصيف جسيمات الدواء الناتومتريه متعددة الأغراض الطبية والزراعية المختلفة»، من جامعة القاهرة. وأسرة مجلة التوحيد تتمنى للباحث التوفيق والسداد.

المهدي والصراع العسكري

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب

رئيس فرع بلبيس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

وبعد:

الأمم الثلاث المنتمية لدين سماوي تنتظر مهديًا يخرج في آخر الزمان، فيملأ الأرض عدلا بعد أن فشا فيها الظلم واستحكم الطغيان.

لكن لكل ملة إمام يختلف عن سائر أئمة الزمان، فعند اليهود فهو من نسل داود والد سليمان، وعند النصارى سيعود عيسى ويرفع الصليب فوق البنيان، وفرقة تنتمي للإسلام تدعى الروافض لهم مهدي يزعمون أنه في القبو وسيخرج في آخر الزمان، وأهل السنة يعتقدون في إمام يقيم العدل ويصلي إماما للناس وخلفه عيسى وجند الرحمن.

وعلى هذا المعتقد أقامت كل ملة مستقبلًا زاهرًا واعدًا يعيد لها مجدها المسلوب، ومجدها المرموق، وعزها المنشود. بل نشبت صراعات على وجه الأرض وقتل فيها الجنود.

فأما اليهودية:

فإنهم ينتظرون قائمًا من ولد داود النبى، إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم، وأن هذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذى وعدوا به. وتري اليهودية المسيح "الماشيح" باعتباره شخصية سياسية قومية سيقود شعبه إلى صهيون ويعيد بناء الهيكل ويؤسس المملكة اليهودية مرة أخرى ... وقد تبدي كل هذا في شكل صراع تاريخي حقيقي. انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١٠٤) مادة الماشيح للدكتور عبد الوهاب المسيري.

وهم في الحقيقة إنما ينتظرون المسيح الدجال، فهو إمامهم وقائدهم ومن كان الدجال إمامه فهو في ضلال.

والحق أن اليهود سيخرج فيهم المسيح، لكنه

الدجال فهو ما يليق بهم ويتناسب مع أخلاقهم، قال صلى الله عليه وسلم: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة» صحيح مسلم (٢٩٤٤)

وأما النصارى:

فيعتقدون أن المسيح عليه السلام قد صلبه اليهود، ومات على الصليب، ثم أنزل من الصليب، وبعد دفنه فيما يقولون بثلاثة أيام قام من قبره، ثم ظهر للتلاميذ، وزعموا أنه بقي معهم أربعين يومًا، ثم ارتفع إلى السماء، وهم ينظرون، وينتظرون عودته ونزوله مرة أخرى. ففي سفر أعمال الرسل" ١/١١: "أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء، إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء".

والنصارى تنتظر المسيح يأتي يوم القيامة، فيقيم دين النصرانية، ويبطل سائر الأديان، وفي عقيدتهم نزع المسيح الذي هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه، فيعتقدون إلهيته وقت الصعود ووقت النزول

وقد اختلفوا في وقت نزول المسيح إلى قولين: فمنهم من كان يرى أن نزوله سيكون قريبًا جدًا من وقت صعوده، وعلى هذا مضى متقدمو النصارى، أما المتأخرون فصاروا يرون أن نزوله سيكون آخر الزمان.

وهم منقسمون في الأحداث المرافقة لنزوله، فمنهم من يعتقد أن المسيح سيكوّن مملكةً له على الأرض تدوم ألف سنة، ومنهم من يرى أنه لن يفعل ذلك، وأن ملكه سيكون في السماء بعد القيامة ومحاسبة الناس، ويفسرون الأحداث بأنها رموز للشر.

والحق أن عيسى سينزل آخر الزمان لكنه سينزل ليمحوا آثار التثليث والفداء، وعبادة الصور والأوثان، وأكل الخنازير وعشاء خالطه رهبان يرفعون الصلبان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» صحيح مسلم(٢٤٢)

والشيعة الاثنا عشرية:

يعتقدون أن الإمام " الحسن العسكري " وهو الإمام الحادي عشر للشيعة

، ابن الإمام علي النقي، ابن الإمام محمد التقي، ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب، هؤلاء أئمتهم الذين يدعون، وهم منهم برآء ولهم مكذبون

عندما توفي الحسن العسكري عام (٢٦٠) هـ كان له ولد يسمى " محمدًا " له من العمر خمس سنوات وهو " المهدي " المنتظر، تسلم منصب الإمامة بعد والده وبنص منه وبقي مختفيًا عن الأنظار، وكانت الشيعة تتصل به في هذه الفترة عن طريق نواب عينهم لهذا الغرض، وهم السفراء الأربعة:

١ - عثمان بن سعيد العَمري.٢ - أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري. ٣ - أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي. ٤ - علي بن محمد السمري.

فهؤلاء نواب الإمام وهم من يبلغون الناس الأحكام، ويتصلون به على وجه لا يخطر على بال، وذلك قبل أن يخترع الإنسان الهواتف والاتصال عبر الهواء.

وكان أبو الحسن علي بن محمد السمري هو

آخر النواب، وقد أعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى وابتداء الغيبة الكبرى قبل ستة أيام من وفاته حيث أخرج للمؤمنين توقيعًا من الإمام المهدي جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة. الطوسي، الغيبة، ص (٢٤٢ - ٢٤٣).

ويقفون على باب السرداب يدعون بتعجيل خروج المخلص من هذا العناء، ليقيم ملة الشيعة ويحكم بكتاب جديد غاب عن العلماء والقراء.

ولقد أحسن من قال:

ما ان للسرداب أن يلد الذي
كلمتموه بجهلكم ما آنا؟
فعلى عقولكم العفاء فإنكم
ثلثتم العنقاء والغيلانا

ولا تزال الشيعة في كل عام وفي يوم الخامس عشر من شهر شعبان تحتفل بولادته "

والشيعة يتناوبون الحراسة عليه؛ ينتظرون قدوم هذا المهدي المنتظر. ويقولون عجل الله خروجه!!!! وهيهات هيهات أن يخرج، ووالله إن هؤلاء قد أصبحوا أضحوكة الأمة وعار على البشرية وسبة على جبين العقلانية.

قال أحد علمائهم: وعندما تمتزج الأسطورة بالعقيدة والأوهام بالحقائق تظهر البدع التي تضحك وتبكي في آن واحد ثم تكلم على عقيدة الرجعة للأئمة بعد ظهور المهدي فقال: تعني الرجعة في المذهب الشيعي: أن أئمة الشيعة مبتدئاً بالإمام " علي " ومنتهيا بالحسن العسكري الذي هو الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسى قواعده بالعدل والقسط الإمام " المهدي " الذي يظهر قبل رجعة الأئمة ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويمهد الطريق لرجعة أجداده وتسلمهم الحكم، وإن كل واحد من الأئمة حسب التسلسل الموجود في إمامتهم سيحكم الأرض ردحاً من الزمن ثم يتوفى مرةً أخرى ليخلفه ابنه في الحكم حتى ينتهي إلى " الحسن العسكري "....

وقد يخيل إليَّ أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة ووضعوا هذه الروايات لإثباتها لم يقصدوا منها رجعة الأئمة بقدر ما كانوا يقصدون رجعة الأعداء حسب زعمهم، وذلك للانتقام منهم لأن هذه الفكرة كانت توطد دعامة التفرقة بين الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى تفرقة لا لقاء بعدها، ولو أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة كانوا مخلصين لأئمة الشيعة لم يصوروهم بهذا المظهر الراغب في الحكم. الشيعة والتصحيح (١٤٢)

وأما المهدي في عقيدة أهل السنة والجماعة :

فيعتقد أهل السنة أن من أشراط الساعة خروج المهدي آخر الزمان، فيملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جورًا وظلمًا، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويفيض المال

هو رجل من أهل بيت النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- عالم رباني مجدد لهذا الدين، يخرجه الله تعالى ليعز به الإسلام والمسلمين، ينصر الله به ملة التوحيد، فتقر عيون المؤمنين وتشفى صدور الموحدين، فيخذل الكفر والضلال، وتعلوا كلمة الحق في الآفاق

يكون قائدًا للمسلمين الذين يعبئون أنفسهم لمقاتلة الدجال، حيث تكون دولته الإسلامية قائمة بقيادته، وعاصمتها دمشق وينزل

المسيح عيسى ابن مريم -صلى الله عليه وسلم- فيقوى دولته، ويقتل الأعور الدجال بين يديه، وتقام الصلاة في المسجد الأقصى، فيُقدِّم المهدى عيسى ابنَ مريم -صلى الله عليه وسلم- ليصلى بهم إمامًا، فيأبى ويقول (إمامكم منكم) ويصلى مأمومًا خلف المهدى.

روى مسلم عن جابر بن عبد الله

رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تَكْرِمَةَ الله هذه الأمة)؛ مسلم: (١٥٦)

وقد روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ، لطوَّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجلًا مني - أو من أهل بيتي - يواطئُ اسمه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما مُلئت ظلمًا وجورًا". صحيح أبي داود، للألباني، ٣٦٠١

وقد كثرت الروايات بذكره وبيان أمره وصنف أهل العلم مصنفات تبين حاله وترد على المشككين حول ظهوره وصفاته.

قال الإمام محمد بن الحسين الآبري رحمه الله: "قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يؤم الأرض عدلًا، وأن عيسى صلى الله عليه وسلم يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه"؛ (المنار المنيف، لابن القيم، ص: ١٤٢)

إن أهل السنة يعتقدون خروجه ولكن على غير ما يعتقد أهل النحل رجوعه، فهي عودة للزمن الأول وأوبة لعالم يحيى بالعدل والسلام، ولا يفكرون في الانتقام، ولا رجعة للأموات بين الركام لينتقموا ممن اعتقدوا مخالفة الأئمة وكل هذا هراء وبهتان.

ومن لوازم عقيدة أهل السنة أنهم يأخذون بالأسباب ولا يطلبون العز بالأماني بل يلجون الباب وينهضون للعمل وأخذ العدة وقد اقترن السيف مع الكتاب.

وقد اقتضت حكمته تعالى أن تربط المسببات بأسبابها، والنتائج بمقدماتها، وقد أودع الله سبحانه في هذا الكون قوانين وسننا تحكمه، وهذه السنن تحترم من يحترمها، ولو كان كافرا، ولا تحابي أحدا إذا أهملها، ولو كان مؤمنا.

قال الشيخ الألباني رحمه الله لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام، وإقامة دولته على وجه الأرض انتظارا منهم لخروج المهدي، ونزول عيسى -عليهما السلام- يأسا منهم أو توهما أن ذلك غير ممكن قبلهما، فإن هذا توهم باطل، ويأس عاطل؛ فإن الله تعالى أو رسوله -صلى الله عليه وسلم- لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام، ولا سلطان له على وجه الأرض إلا في زمانهما؛ فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛ لقوله تعالى: «إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (محمد: ٧)

فاللهم إنا نسألك عزا للدين ورفعة للموحدين ووضعا لمن يعادي المؤمنين.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

إعداد لواء مهندس/محمود المراكبي
رحمه الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، محمد بن عبد الله سيد ولد آدم، بعثه ربه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، نشهد أنه بلغ الرسالة، وترك أمته على المحجة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، أخرج قومه من ضيق الشرك إلى رحابة التوحيد، ومن ظلمات عبادة الأوثان إلى أنوار طاعة الواحد الديان، ثم دعانا صلوات الله وسلامه عليه إلى التمسك بكتاب الله وسنته وهديه، وحذرنا من تقليد الآباء واتباع الأهواء.

ولقد قصَّ علينا الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل أحوال الأمم السابقين، فأدركنا أن كل نبي دعا قومه أولًا إلى التوحيد، وأوضح لهم أركانه وشروطه، وحذرهم من اتخاذ الوسائط بينهم وبين ربهم، فمن استقامت عقيدته فقد انشرح صدره للطاعة، واستعد لقبول الأوامر والنواهي، ومن أعرض عن حقيقة التوحيد فما تنفعه الطاعة ولو سجد أبد الآبدين !!

مقدمة وتكليف:

لا يخفى أننا في زمن غربة الدين وعزلة الإسلام وتكالب الأمم على قصعة المسلمين، وقد أصبحنا بين هجوم أعداء الإسلام، ومطرقة المفرطين من أبنائه وسندان الغالين، والناس يتساءلون: من أين يبدءون؟ وكثير منهم لا يعرفون أنه لن ينصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها، فبداية الإصلاح في السير على هدي الأنبياء

والمرسلين، وتنقية العقيدة من كل مظاهر الشرك، والعودة إلى المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا شك أن رسالة «مجلة التوحيد» تمس لب القضية وتعالج قلبها الحزين، ونحن اليوم في أمس الحاجة إلى فهم التوحيد، كما أراده الحق، تبارك وتعالى، وارتضاه دينًا حيث قال: «إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (آل عمران: ١٩)، وقد حدد النبي، صلوات ربي وسلامه عليه، بناء هذا الدين على خمسة أركان، ودعامته الأساسية هي التوحيد.

وإنه لمن توفيق الله تعالى أن تولى فضيلة الشيخ/ محمد صفوت الشواد في تعريف القراء الكرام في العدد السابق عن إسهامي المتواضع في قضية بيان التوحيد وحقائقه، من خلال سلسلة كتبي عن الظاهر والباطن، وتقديمه لكتابي «عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة».

وقد شعرت بعظم المسئولية الملقاة على عاتقي، حيث كلفني الإخوة في المجلة بكتابة سلسلة مقالات - تنشر تباعًا بإذن الله تعالى- توضح قضية الفكر الباطني، وأسلوب القوم في نشر أفكارهم، وكيف يستميلون الأتباع، وسنتتبع بحول الله وطوله مناهل الفكر وصوره المختلفة التي يظهر بها في المجتمع الإسلامي.

تمهيد مهم:

١- ينبغي على الدعاة أن يتعرفوا على طبيعة العصر الذي نعيش فيه، حيث ذابت المسافات بين الأمم وتلاقت الثقافات، وتداخلت الحضارات، وتلك نتيجة منطقية لعالم يسمونه اليوم قرية إلكترونية، خاصة بعد ظهور شبكة «الإنترنت»، وتسابقت الدول والمؤسسات، بل والأفراد إلى نشر ما عندها من أفكار، فاليوم يستطيع أي شخص يملك حاسبًا آليًا أن يبحث من خلال «الإنترنت» عن الإسلام، وسيجد عشرات المواقع التي تقدم معلومات عن الإسلام، والغريب أنك تجد للبهائية موقعًا على الشبكة، تقدم فيه معتقداتها للناس على أنها الإسلام، فكيف يميز الناس بين الطيب والخبيث؟!

٢- إن المتتبع للمعرض السنوي للكتاب الذي يقام في مصر يلاحظ كثرة الكتب التي تقدم الفكر الباطني، ويدرك أن الباطنية قد انتقلوا من مرحلة التستر إلى مرحلة العلانية، وأن تركيزهم الأكبر هو الهجوم على أهل السنة خاصة في مصر والسعودية، ومن هذه الكتب: «أهل السنة شعب الله المختار»، «الخدعة رحلتي من السنة إلى الشيعة»، «الشيعة في مصر من الإمام علي إلى الإمام الخوميني»، «الهمة في آداب اتباع الأئمة»، «التشيع والتصوف لقاء أم افتراق»، ومنها أيضًا: «دراسات جادة عن الصلة بين التصوف والتشيع»، «العناصر الشيعية في التصوف»، «النزعات الصوفية في التشيع».

كل هذه العوامل جعلتني بعد أن أصدرت سلسلة الظاهر والباطن، أقبل هذا التكليف، فالدين مستهدف، وأمن الوطن هو المهدد، ويبقى السؤال: ماذا سنقدم؟

هل من جديد؟

ربما يتساءل بعض الناس فيقول: ماذا ستقدم؟ إن هذا الموضوع قتل بحثًا، وتكلم فيه علماء كثيرون؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول:

١- إن أغلب من كتب في هذا الموضوع، إما صوفي يدافع بحرارة عن سلوكه واعتقاده دون أن يطلع على مناهل الفكر الصوفي وحقيقة ما يؤمن به، وغالبًا ما ينهاه شيخه عن قراءة كتب نقد التصوف، أو ناقد للتصوف لم يعش التجربة الصوفية، ويتعرف على منهج القوم في تهذيب

النفس، كما أنه في أغلب الأحيان ينقد نظريات وحدة الوجود والوحدة المطلقة؛ دون أن يدرس أوراد الطرق الصوفية المتداولة اليوم بين أيدي ما لا يقل عن خمسة ملايين مسلم في مصر وحدها، فيرد عليه مشايخ الطرق قائلين: إن هذا الهجوم على أفكار لا نعتنقها نحن، ولم نتلقاها عن شيوخنا، ويصدق المريد هذه الدعوى دون أن يقيم عليها دليلًا، وينتهي الجدال دون أي نتائج، فلا هؤلاء يصدقون، ولا هؤلاء يفهمون!!

٢- قلة عدد الباحثين الذين تتبعوا منابع الفكر الصوفي، وربط بينه وبين الفكر الشيعي، ومنهم: السراج الطوسي في «اللمع»، وابن خلدون في «مقدمته»، وأحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام»، إحسان إلهي ظهير في سلسلة كتبه عن الشيعة والتصوف، وكامل الشيبي في كتابه «الصلة بين التصوف والتشيع»، هذا لا يمنع وجود كثير من العلماء والدعاة أشاروا في كتاباتهم عن هذه الصلة دون أن يفردوا لها بالتأليف.

٣- إن قيام الدولة الشيعية في إيران كان على أكتاف التصوف، فالدولة الصفوية كانت صوفية في بداية أمرها، ثم غلب عليها التشيع، وبعد أن تملكوا زمام الأمور، استداروا على الصوفية، فأذاقوهم جزاء سنمار.

ومن هنا تظهر أهمية هذه السلسلة من المقالات، فكاتبها عاش تجربة التصوف حتى وصل إلى مشيخة الطريقة الخلوتية، واطلع على أغلب كتب القوم، ثم كان الفضل والتوفيق من الله تعالى أولًا، ثم من واقع الأوراد التي تلقاها عن شيوخه، واطلاعه الواسع على الكتاب والسنة والذي أظهر له الحيود ومواضع الاختلاف، فراح يبحث عن الإجابات لعله يبلغ الغايات، وينجو من هذه المتاهات، فكان ذلك سببًا مباشرًا في تأصيل القضية، فراح يتتبع نشأة التصوف وتطوره، والمنابع التي شرب منها، حتى تحولت الدراسة من مجرد انحراف في طريق صوفي إلى دراسة غير مسبوقة عن الفكر الباطني ككل.

المنهج في عرض الدراسة:

١- ليكن شعارنا في هذه المقالات قول الحق تبارك وتعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (النحل: ١٢٥)، وسنتبع بحوله سبحانه بالقاعدة التي تقول: «إن ناقلًا فالصحة، وإن مدعيًا فالدليل»، وهذه القاعدة استقاها علماء السلف من فهمهم لقوله تعالى: «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (البقرة:١١١).

٢- غايتنا بيان انحراف الفكر ومدى خطورته على الأمة، وتنبيه الغافلين عن مراد الباطنية ومخططاتهم لأهل السنة والجماعة، وسيجد أحسن الناس ظنًا أن الأمر خطير، ويمس صلب عقيدة التوحيد، وليعلم القارئ الكريم أنه ليس بيننا وبين أحد من الناس خصومة، فالأشخاص ليست لنا هدف، وعقيدتنا ألا نكفر من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وعمل بحقها.

٣- وأسلوبنا هو التركيز على الأولويات ، فالتصوف يحيى بيننا، وتتعدد طرقه، وتختلف مشاربه، وكثير من أتباعه لا يدركون خطورة ما هم فيه، ولو عرفوا الطريق الصحيح لسلكوه، ولوجهوا إخلاصهم إلى كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، بدلًا من ضياع الأعمار في سلوك يصطدم بقوة مع اعتقاد السلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين. أسأل الله لي ولكم التوفيق والرشاد. والحمد لله رب العالمين.

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٤٣

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

~~١٥٠٠~~ جنيه

لفترة محدودة

يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد **٢٥** جنيه

بدلاً من **٥٠** جنيه

حتى عام ١٤٣٩ هـ

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشترٍ

لعام ١٤٤٣ هـ

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

☎ واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

علم نافع لايستغني
عنها البيت المسلم»

التوحيد

وقفات شرعية مع أحداث الثورة المصرية
عام نستقبل ... وصفحة تطوى !!
أنصار السنة المحمدية والانتخابات
يا دعاة الأمة: الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

☎ للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

التوحيد
١٤٤٣